

شمران الياسري (ابو كاطع)

codea.pdf



رواية الزناد

رباعية ابو كاطع:

عمل أدبي روائي للكاتب المعروف شمران الياسري ، كتيبة في سبعينات القرن الماضي ، وهو بمثابة توثيق لحقبة زمنية من تاريخ العراق منذ عشرينيات القرن الماضي وحتى منتصف الستينيات ، يستعرض فيه المؤلف الحراك السياسي والاجتماعي لشعب مقهور ، خرج من الاحتلال العثماني ليخلفه احتلال بريطاني ، ثم لنظام ملكي وجمهوري وحكومات متعاقبه لم تكن بمستوى طموح الجماهير في العيش برفاه وسعادة.

رباعية ابو كاطع:

وثيقة تاريخية كتبت بأسلوب أدبي روائي ممتع . كاتبها خرج من رحم المعاناة الشعبية ، ولهذا جاء السرد سلساً ، و الرؤية تجمع بين الواقعية والخلق والابداع ..

تقدم دار الرواد للطباعة هذه الرواية باجزاءها الاربعة خدمة لجمهور القراء ويقصد اشاعة الثقافة الادبية الملزمة.

تنويه :

قامت مجلة الثقافة الجديد ب طرح فكرة طبع هذه الرواية على حساب القراء بعد ان رفضت اجهزة النظام السابق تعضيد نشرها ، فكانت الاستجابة سريعة ، اذ حجز القراء نسخهم ودفعوا ثمنها قبل الطبع. حرصاً على صدور هذا العمل الادبي.

يمكن تفسير هذا الموقف ، بأنه تحد للسلطة ورغبة في أن يرى هذا العمل الادبي النور ، رغم كل العتبات ، كما يدلل على ثقة القراء بالمؤلف ذي الشعبية الواسعة .. وكفاهم ان المؤلف هو ابو كاطع

انها ثقة ومحبة الجماهير .. وها هي مطبعة الرواد تعيد تجديد هذه الثقة بالكاتب والرواية خدمة للحركة

رباعية ابو كاطع



شركة دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٨٢٤ بغداد لسنة ١٩٧٢ - الطبعة الثانية ٢٠٠٧

الكتاب : الزناد

المؤلف : شمران الياسري

الناشر : شركة الرواد المزدهرة للطباعة والنشر

والتوزيع المحدودة

الطبعة الاولى منشورات الثقافة

الجديدة ١٩٧٢

الطبعة الثانية الرواد ٢٠٠٧

العراق / بغداد / الرواد



نبذة عن حياة المؤلف :

* في بيئة ريفية بمحافظة واسط - قضاء الحي - ولد
شمران يوسف الياسري في نهاية عشرينيات القرن
الماضي

* عائلته تمتحن الزراعة ، لكنها لم تكن تملك الارض ،
الأن نحداره من اسرة علوية (من السادة) أعطى
عائلته مركزاً مرموقاً ووجاهة اجتماعية في المحيط

الذي يعيش فيه ومنحة تعاملأ خاصا من ملاك الارض والفلاحين على حد سواء.

* لم يدخل شمران الياسري المدارس الحكومية وانما درس في الكتاتيب (الملا)
وحفظ القرآن على يد والدته ، لكن رصيده التعليمي لم يتوقف عند هذا الحد ، بل دفعه
ولعه ورغبته في التعلم أن يعتمد على نفسه ويواصل القراءة الخارجية.
* اتصل بالمتقنين من أهل المدن القريبة ، وفي مقاييس ذلك الزمان فأن المعلمين هم
رموز الثقافة والعلم.

* كانت له زيارات الى بغداد ، حيث أحتك بأهل الفكر والسياسة ، الأمر الذي حفزه
أكثر لزيادة رصيده المعرفي . وبالفعل فقد اصبحت معلوماته في القراءة والكتابة
لا تقل عن خريجي المدارس الثانوية ، بل تفوقهم ، عندها أشار عليه بعض اصدقائه
المقربين أن يقدم امتحانا خارجيا ، وكان أن اجتازه بنجاح.

____ بدأ يتعلم اللغة الانكليزية ويأخذ دروساً خصوصية فيها ، إضافة الى تعلم مبادئ
المحاسبة ومسك الدفاتر (البلاتجو) الذي أهله في فترة لاحقة للعمل لدى بعض المحال
التجارية بصفة محاسب.

____ كان لديه مشروع للدراسة في الجامعة ، لكن انغماسه في العمل السياسي و
الصحفي و الظروف التي تضطره بعض الاحيان للأختفاء ، منعه من تحقيق هذا
المشروع.

____ أصبح شمران الياسري الشاب القادم من الريف ، متقفاً من الطراز الاول ،

يلتهم الكتب بشغف ، ويقبل على قراءة كل مطبوع يتوفر له سواء في مجالات الادب والثقافة ، اضافة للسياسة.

* انتقل شمران الياسري الى العاصمة بغداد ، وبدأ يكتب في عدة صحف.

* انتسب الى نقابة الصحفيين واتحاد الادباء ، واصبح لديه عمود يومي يكتبه في جريدة طريق الشعب.

* كان الغالب على نتاجاته ، الهموم الفلاحية ومشكلات الريف ، اما برنامجه الاذاعي (احبها بصراحه ببو كاطع) فقد كان خطأ أوفتحاً جديداً في مجال البرامج الشعبية ، بل يمكن وصفه بأنه عمل ريادي في مجال البرامج الجماهيرية فهو برنامج ناقد وساخر يترقبه الجميع سواء كانوا من ابناء الريف او المدينة.

* عمل شمران الياسري في عدة صحف ومجلات منها : صوت الاحرار ، البلاد ، الحضارة ، الثقافة الجديدة ، الفكر الجديد.

* درس الصحافة في سنوات السبعينيات من خلال دورات صحفية في معهد الصحافة بألمانيا الديمقراطية.

* تعرض شمران الياسري للملاحقة والاعتقال عدة مرات وتنتقل بين سجن بغداد المركزي ، وبعقوبة ، والعمارة نتيجة توقيعه على مذكرة نداء السلم في كردستان.

* غادر العراق عام ١٩٧٦ متخفياً وسافر الى أوروبا ليعمل مندوباً لوكالة الانباء الفلسطينية في (براغ) وتوفي هناك في حادث سير .

* توفي الروائي شمران الياسري في يوم ١٧/٨/١٩٨١ بعيداً عن وطنه وأسرته ، وقد اوصى قبل وفاته بأن يُدفن في مقبرة الشهداء الفلسطينيين ببيروت كي يقترب أكثر من العراق ، ولكي يجنب أسرته وأصدقاءه مما قد يتعرضون اليه من قبل السلطة آنذاك ، باعتباره كان مطلوباً لها ، وهدفاً ينوون تصفيته ..

* ومع انغماس (ابو كاطع) في العمل الصحفي ، لأنه كان يردد باستمرار .. الرواية الرواية .. أنني اعشق العمل الروائي .. وبالفعل ، فقد كانت باكورة عمله الروائي هذه الرباعية .. التي تضعها مطبعة الرواد بين ايدي القراء باجزاءها الاربعة.

شركة دار الرواد المزهرة
للطباعة والنشر المحدودة

الزناد

شمران الياسري

رواية
الزناد!

الجزء الاول من الرباعية

الطبعة الاولى ١٩٧٢

الطبعة الثانية ٢٠٠٧

تقديم

شمران الياسري.. مخاضة الفكر من الريف.

إذا كانت هذه الرواية قد بدأت من مضيف الشيخ (سعدون بن مهلهل) في ليلة من ليالي كانون الباردة، وبدأت في الزمان الذي أصبحت فيه ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ذكرى قريبة، يتغنى العراقيون ببطولات ثوارها ، ويتحسرون على خسارتهم للمعركة أمام القوة الكبيرة للأتراك، فإنها تنتهي قبل أن تسقط ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة ويتم اجهاضها عام ١٩٦٣ صريعة المؤامرة والفاشية، وفوضى الإدارة التي طبعت المراحل الأخيرة من عهدها

ولقد إختار الكاتب ان تنتهي الأحداث (المنشورة) من الرواية قبل يوم الثامن من شباط الاسود عام ١٩٦٣، لان الرواية نشرت في العراق، وفي ظل النظام المسؤول عن ذلك الحدث الاسود.. ولكنه (المؤلف) أكمل في روايته الثانية (قضية حمزه الخلف)، التي نشرت عام ١٩٨٣ بعد رحيله بعامين، احداث الانقلاب وما تلاها الامر الذي يجعل الرواية الاخيرة جزءا اساسيا من الرباعية وخاتمتها التي جسدت بداعة المؤلف عندما يتحرر من قيود الرقابة ويقول الاشياء بمعانيها ومدلولاتها

فقد كتب الرواية وهو في المنفى ونشرت بعد وفاته في بيروت، ووصلتنا بعد ان عاد المنفيون عام ٢٠٠٣

لقد أرخ هذا العمل المجيد لمرحلة حرجة من مراحل الدولة العراقية الحديثة

لاكثر من أربعة عقود، تتطور فيها سلطة الاقطاع بدعم ومباركة الانكليز والسلطة التابعة لهم، وتلقي بظلالها على ريف الوسط والجنوب -محور الرواية ومناخها-.

فالكااتب يؤرخ لمرحلة نشوء الاقطاع، وعلاقة ذلك بالانتكاسة التي تعرضت لها عشائر الفرات الاوسط (هذي دية ثوار الفرات يدفعونها لشيوخ العشائر بدجله).. فلقد عاد (ابن طرفة) يحمل ألف روبية هدية من الحاكم الانكليزي.. وما ان سمع الشيخ (سعدون بن مهلهل) بهذا الخبر، حتى بدت قضية الوصول الى الحاكم الانكليزي هاجسه الاعظم، والبداية لنشوء السلطة التي خلقتها الالف روبية وتحالفاته مع أعداء الأمس.. ثم تعرض الرواية لوقائع سقوط الاقطاع على يد ثورة تموز المجيدة ونشوء علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة تتجلى خلالها أخلاقيات وقيم المجتمع، وثبات بعضها وإنزواء الأخرى بسبب هذا الوضع الجديد

لقد قدمت هذه الرواية المرحوم (شمران الياسري- ابوكاطع) ادبياً عظيماً عرفه العراقيون عبر قلمه الرائع وبرنامجه الاذاعي الهائل الذي شغل الناس وحاز على اعجابهم ومتابعتهم.. وعندما بدأت جهود نشر الرواية، وهي جهود استمرت لأشهر لإقناع وزارة الثقافة والاعلام (سابقاً) لتعصيد نشر الرواية، ثم اعتذارها لأسباب معروفة، تحول الهدف الى أن يتولى القراء تمويل النشر من خلال شراء الرواية مقدماً وهي تجربة فريدة في زمن كانت الدولة تطبع أوطأ الكتب قيمة ولعشرات الجهلة من الكتاب وأدعياء الثقافة.. فمثل هذا بحق تحدياً فطرياً من الجمهور المثقف لأعداء الثقافة والفكر الراقى.

لقد كتب المرحوم ابو كاطع هذه الرواية على ضوء الفانوس في الفترة التي تخفى فيها عن السلطة غداة انقلاب شباط ١٩٦٣

كان يصل الليل بالنهار وهو يكتب ويصحح ويعيد الكتابة.. وكان يقرأ مسوداتها لأصدقائه الذين يأتون لزيارته تحت جنح الليل، متخفين من عيون الشرطة وجواسيس السلطة.. فيتحاورون ويناقشون. وكان بعضهم شخوصا بالرواية وابطالاً لاحداث بعينها

ان (الزناد) هو الاداة التي استطاع بها (ابن مهلهل) التغلب على الشخصية الاسطورية (خلف) وأستحوذ على (ديمته) مقابل هذا الزناد.. ولكن ذات (الزناد)، يستطيع ان يتسبب بحريق هائل ويغير مجرى الاحداث، ويوقف ما لم يستطع (خلف) التغلب عليه، وهو البطل الهائل، والطيب حد السذاجة

لقد عاش (ابو كاطع) في الريف، تعلم منه ما لم يتعلمه في المدينة وفي المدارس والعمل السياسي

إن ما تعلمه في الريف هو الذي كوّن شخصيته اللمّاحة التي إنقطعت واختزنت ألوف المشاهد والجزئيات التي يعجز المشاهد من خارج تلك البيئة ان يلتقطها. وسوف يُعطي التأريخ لهذا الرجل البارع شهادة على انه تُقرّد حد الإبداع في عرض صورة للريف وإخلاقيات أهله، ونمط تفاعلهم مع الحياة وتداعياتها بطريقة لم تتح لموهبة أخرى، وأجزم انها لن تتح في الزمن المنظور.

فالذي يعيش في أجواء هذه الملحمة الفاتنة التي تحكي قصة الشعب العراقي الساكن في الريف، لن يتمكن من مغادرة هذا الجو بسهولة.

وعندي أدلة على اصدقاء قرؤوا الرواية فحفظوا مقاطع طويلة منها، ومشاهدات وحوارات في قراءة أولى لها، وعندما حاولت الاستيضاح عن هذه المقدرة في الحفظ، قالوا بثقة (ان هذه الحوارات محظ حياتنا ونمط سلوكنا، ومن العجيب انها وضعت على الورق بهذه الامانة!!)..

ولم يترك المؤلف (شمران الياسري) بعض التفاصيل التي لا يمكن تصور وجودها في جو درامي مشتعل بالاحداث الكبيرة.. فقد غاص في تفاصيل الحياة العادية وفي الغزل والجنس المتمرد على حدود الذهن الريف.. ووصف الكرم. يقابله البخل المفزع.. ولقد وصف ذكاء أهل الريف وسرعة بديهيتهم للحدود التي تقنع ابن المدينة الذي لم يعيش في بيتهم.

لقد نشرت هذه الرواية، عام ١٩٧٢ ضمن منشورات مجلة "الثقافة الجديدة"، المجلة التي قادت الفكر العلمي والثقافة التقدمية، ومازالت تفعل ذلك بشرف وامانة. وطبعتها مطبعة الشعب..

وخلال عام ٢٠٠٣، بعد سقوط نظام الحكم، كان المثقفون، وعامة الناس. يبحثون في شارع المتنبي عن الرباعية او عن بعض أجزاءها، وكان اصحاب المكتبات يعرفونها تماما، ويرشدون الى النسخ المصورة منها والاماكن التي توجد فيها

وخلال عام ٢٠٠٦ إتجهت مطبعة (الرواد) الى فكرة إعادة طبع الرواية، وهو حلم راود الكثير من محبي أدب (ابو كاطع)، وبعد أن بادرت وزارة الثقافة مشكورة الى إعادة طبع رواية (قضية حمزه الخلف) التي نشرت عام ١٩٨٣ بعد عقدين من الزمن..

ان مطبعة (الرواد) تقدم خدمة مجيدة للمكتبة العراقية عندما تعيد طبع

هذه الرواية، معرضة عن تفاصيل الكلفة واحتمالات الخسارة والريح، معتمدة بالدرجة الأساس على حقيقة ان هذا العمل الكبير يجب ان يكون في متناول القارئ، للتذكير بان الشعب العراقي. الذي خاض في الريف معركة التحرر من التخلف جنبا الى جنب مع المدينة. بعمالها ومثقفها وطلابها يستحق توثيق نضاله المجيد.. وللتأكيد على ان المكتبة العراقية لم تُفلق. وإن القارئ العراقي موجود. وعليك أن تسعى إليه وتقف ببابه. تقدم اليه المادة الجيدة في هذا الزمن العصيب.

ان رواية (شمران الياسري) (الرباعية) بأجزائها الاربعة (الزناد، بلابوش دنيا، غنم الشيوخ وفلوس أحميد) تستحق القراءة، وتستحق التفكير الجدي بانتاجها كعمل سينمائي أو تلفزيوني أو اذاعي، لأنها ملحمة وطنية تقطعت انفاسنا ونحن نتابع بأهتمام شديد شخوصها وأبطالها وهم يتحركون على مساحة زمنية وجغرافية وأخلاقية واسعة

وتستحق (مطبعة الرواد) كل التقدير لهذه المبادرة المخلصة.. كما تستحق إذاعة (راديو الناس) التقدير والعرفان بعد ان قررت إعادة عرض هذه الرواية بطريقة مبتكرة فيما يسمى (الكتاب المسموع). واستطاع الفنان المبدع الاستاذ (جاسم يوسف) ان يضع المستمعين في أجواء قريبة من مقاصد المؤلف للشخصيات والاحداث والبيئة.. لانه إبن البيئة وأحد الشهود على جانب مهم من أحداث الرواية..

لقد حظي المؤلف بقدر معقول من الاهتمام غداة سقوط النظام عام ٢٠٠٣ فاحتفت به الصحافة بطرق مختلفة.. وأعادت وزارة الثقافة نشر روايته (قضية حمزة الخلف).. كما منحته درع المتنبي.

سبيقي (شمران الياسري - أبو كاطع)، متفرداً في حصاد القيمة الكبرى للكتابة من الريف عبر أفق فني وأدبي لم يتح لمثله.. وسبيقي الريف العراقي قضية كبرى ومصنعاً هائلاً لإنتاج الثقافة ومنبت الفكر الخلاق في الشعر والأدب والخطابة والسياسة.. ولقد كانت (صراحة) أبو كاطع مدرسة كبرى في إنتاج العمود الصحفي اليومي، ثم في إنتاج الرواية الرائعة.

إحسان شمران الياسري

شباط / ٢٠٠٧

الفصل الأول

توالت الاكف تزيع الرماد عن وجه النار. أوقف مداعباته للمسبحة. شغلت اصابعه بـ (السبيل) ليحشوه تبغا ساد صمت لا يقطعه الا عزف الريح على حبال الربعة. تسلل الهواء باردا، عبر نسيج الستار المهلهل، مثل شتيمة ماكر غلفها بموعظة. اقترب الرجال من بقايا النار. تحركت المسبحة فوق كف حسين. لابد انه عاود الانشاد ثانية- يستعذب ترديد الشعر، لا فرق أن كان لنفسه أو للآخرين. بعد بيت شعري مؤثر تتداعى ذكريات مطمورة ولربما حفرت الذكري للبحث عن قائل البيت، يود لو يعرف الشاعر. مرارا تمنى لو يناقشهم وجها لوجه، يستوضح او يصحح انه الان يتذكر (ابو الغمسي) لو ادركت زمانه وعاشته لسألت: اخبرني يابطل عصرك وشاعر زمانك، لماذا تحمس بعضهم لرواية شعرك، واصر آخرون على انه منسوب اليك؟ أتراهم يظنون الشعر لايناسب بطلا من امثالك؟! ترى ما هي الحكمة في أن يتخلى شاعر عن مثل هذا الشعر الرائع، ويتطوع في وضع اسمك عليه!

خفق الستار من ناحية الشمال، كأن الريح تستأذن بالدخول، فامتلات ربعة سعدون ببرد كانون. أدركوا من حركة المسبحة أنه اختتم بيت الشعر بهوسة. ثمة نجوم تضيء، تتسلل خيوطها الى مواقع اجسادهم من خلال نسيج الربعة ومستطيل الباب. بكى الرضيع خلف ستار القاطع بين الربعة وبيت العائلة، ثم سكوت بعد ان تناوشت شفاهه الرقيقة حلمة ثدي. عندها ترنم حسين بابيات من الشعر ، فارهف الرجال السمع، لم يتبينوا غير الهوسة: (ذبوله ارغيف وهز ذيله!)، ثم غلفهم الصمت. كف حسين عن مداعبة المسبحة. شغله حوار مع نفسه: كأن البرد يعوض عن الماتم

والمواعظ، فلا تلوح عمائمهم الا حيث يشتد ريح السموم. وزاد الصمت في برودة الجو، وكثافة الظلمة: لو بعث يزيد ثانية لسار خلفه الباكون على الحسين. وفي جميع الاحوال لابد من حسين شهيد يكونه.

ينس (غافل) من مبادرة سعدون بن مهلهل، وتؤكد له انصراف خلف لنفسه، فطلب ان يبدد حسين الوحشة بشئ من الشعر، تاركا له حرية الاختيار. تنبه خلف في اللحظة المناسبة، ود لو يسمع الهوسة الجديدة مستدركا باعجاب ظاهر:

- حسين.. بروح مهلهل. ياهو الجيب لك الهوسات والاشعار من الفرات.. لهناء؟

ضحك حسين بانتشاء.. واجاب:

- الشاعر عنده ملايحه اتسولف له!

ارتعب غافل وعيناه تتسعان، تنتقلان في الظلمة بخوف:

٤- بسم الله الرحمن الرحيم.. يا الله ذخيرك من الملايحه!

رد حسين بتهكم..

- لو اتحط لك مخيط بعكالك عن الملايحه.. أحسن لك.. وروح والدك!

- ياخويه جوز من هلسالفه.. كول.. كول البيت الراده خلف..

تراقصت حبات المسبحة على كفه، ثم طواها حول معصمه وراح يقتل شاريه. لم يتبينوا تعابير وجهه في الظلمة. كان صوته رخيما وهو يقرأ:

اگلن لچ یجامعه الحسن عیناچ

فن کوکز ودیلی بعسکره یدناچ

کون اهلچ جفوج احنا بطرب جیناچ

خل يمن كلبج يرعيه

إهتز رأس خلف اعجابا ، ورددت شفاهه مقطعا مبتورا
(عسكرة يدناج.. بلا بوش دنيا!).

هم غافل أن يستزيد من الشعر، إلا أن هاجسا ما جعله يصمت، أراد التأكد أولا، ان كان سعدون بن مهلهل يستمتع بما يقال! ألفاه منشغلا عنه مع نفسه خيم السكون مرة أخرى. غرز خلف (خاشوكة النار) في حوض الموقد ، ليستخرج بقايا الجمر المدخر. أحس الخيبة ان وجد النخيرة بضع جمرات مبعثرة بين الرماد، فتساءل متوهما:

- يمكن الليلة تعلقنا اهواي؟

ثم لوى رقبتة وتطلع من باب الريغة، ليرصد الوقت من مواقع النجوم فأجابه حسين:

- لا ، ولا لك لواء، مأسهرنا اكثر من كل ليلة، لكن النار طفت جي لنها نوية غافل.. ومعلومك بين غافل وبين النصوحه عداوه.. بگلبه عشرين محلة يهود!..

رفع خلف ذراعيه، وقرب وجهه من وجه حسين ليستجلي ملامحه.. على اشعة باهته تصدر من نار تنطفئ:

- عفيه! لا عاب حلك.. غافل صدك ايزاغل.. بلابوش دنيا!

لم تقف التهمة حائلا بين غافل وبين ان يضحك، واقسم بـ
(العباس ابو فاضل) أنه جمع خطبا اكثر مما يجمعون كل ليلة. ثم ختم دفاعه يندب حظه:

- شغل غافل ما يعجبكم. دوم.. دوم.. حتى من يجيب له كرشه تطلعون

بيها عظم!

لم يفلح ضجيجهم في اخراج سعدون من صمته فقد استحوذ عليه النبأ الذي تداولوه في البداية ، تملك أحاسيسه ، وصرفه عما حوله. استبدت به رغبة ان يسمعه مرة أخرى. طلب أن يحكيه (خلف) دون زيادة او نقصان.. رواه للمرة الثالثة: عندما التقيت به عصرا، قال لي أن ابن طرفه عاد من بغداد يحمل ألف رويية هدية من الحاكم الانكليزي.. وقال ان شيخ آل صكب نال هو الآخر ألف رويية.. وثمة شيوخ من مناطق أخرى لم يكن حظهم من العطاء اقل.. تذكر حسين ليلة نصب كميننا للصوص بعيدا عن بيته. كانت كلاب القرية تتعارك حول جيفة حمار نافق.. مرق الضبع أمامه قيد خطوات، مستهينا بالكلاب. انقض على الجيفة وحملها بين فكيه عنوة. ثم ساءل نفسه:

أحقا ما يقال أن رائحة الفطيسة تجتذب الضبع من مسافة عشرين ألف ذراع؟!

ألح سعدون مستزيذا

- يا جماعة.. هالانكليزي، شنهو مگصده يطي هاكثر افلوس؟

قال غافل:

- يشتري بيها زلم وروح مهلهل، چاشنهي هيه مضمومه!

وقال خلف:

- ما يخسر بيها شي.. النوط ابو ميه خط.. يطبعونه بديهم.. وبلابوش

دنيا!

هيا حسين اجابة على هذا النحو (تموت كحيله من بخت جلب!)

وسرعان ما استبدلها بقوله:

- هذي دية ثوار الفرات يدفعونها لشيوخ العشائر بدجلة!!
ضاق سعدون بهذه المزحة، تمنى لو يناكده بهذه العبارة أو بمثلها: أتى على الدنيا حين من الدهر حكمتها حتى الحريم، ولم يحكمها الشعراء أو رواة الشعر ليوم واحد واهمل اجابته على نحو واضح وعبر عن ذلك بموافقته لخلف: على ما عدت الانواط اخطوط ويسوونها بديهم إشخسرانين بيها؟

حين ادرك غافل ان سعدونا يطرب لهذه النغمة، اخذ يكررها على نحو اسرع: اراهن على ان بينك وبين الالف روبية اياما معدودات، ومسافة لا تتجاوز رمية عصا فانبرى خلف مقاطعا، يذكره بحقيقة ما كان لها ان تغيب! أن الانكليز حين يكرمون ابن طرفة فليس ذلك حبا بنقراش الجدي الذي يشوه وجهه، انما من اجل عشيرته. واذا كان ذلك كذلك، فعشيرة سعدون بن مهلهل اكثر عددا. وعند المفاخرة، ارفع شأننا والانكليز قبل هذا وبعده، شياطين لا تنقصهم معرفة الاحساب والانساب. وكان حسين يترنم بـ (هوسة) من شعر ثورة العشرين، ولما تزل احداثها طرية في الازهار، لا تفصلهم عنها سوى ثلاثة اعوام:

واوي الكوت اجا متعني ومتمور

يכול اشها لربيعة اشكتر بيها اكسور

واوي العارضييه ايگله من ياخور

شيم اهلك بلجي ايشبعونك!

اهتم سعدون بتنظيف سبيله، مستكينا الى أمل اساسه استنتاجات خلف

وبشرى من غافل ليس لها ثقل في الميزان مردداً في سره:

- خير الاستنتاجات ما تقوله أنت يا حسين. تحدث وكأن حجب الغيب

قد رفعت عن ناظريك، لو أقلعت عن الركض وراء الشعراء!

- ألم تسمع أحدهم يقول: (اشلون ابن الله اتطگونه؟) ويرد عليه آخر:

(من كونه ابن الله ابن اخته أنه). تناول كمية من التبغ وراح يملأ سبيله،

ولما قارب الحافة، دس ابهامه اليسرى في فم السبيل، وضغطه بعصبية:

ربما لعب الخبيث ابن طرفة لعبة، وقال عني ما لا يسر امام الحاكم

الانكليزي وجعله يستبعدني من قائمة الشيوخ. لن ينسى ذلك اليوم المشهود

وقد مرغنا وجوههم بالوجل. عقل حسين ركبته فاقنتى به الآخرون. وضع

راحته اليمنى على السبيل وقد امتلاً تماماً حركها ذات اليمين وذات

الשמال، حتى طحن التبغ: أراد لها ابن طرفة ان تكون الحاسمة. لن تشب

بعدها لعشيرتنا نار- وسوس كالشيطان لصلال، وكان صبيها واغرى آل

بدر بوعود خلابة- وعليه دارت الدوائر.. بك بدأ- يا حسين - مجد

الانتصار، وبك ختم، هكذا أسر لي المرحوم. رفع صوته في محاولة

لاستدراج حسين، وبالتالي معرفة توقعاته:

- ابن طرفة خبيث. اعرفه واعرف ادرويه وچاد سولف عني- بالموزين

جدام الحاكم الانكليزي. ابن طرفة ما ينسى ذبيح العملة.. السويناها بيهم.

كف عن معابثة المسبحة. رمق خلفاً بنظرة احترام أجبتها الذكرى.

تخيل وقفته يوم المعركة حين خرج من النهر، ووقف على المترب ليزرع شيئاً

من الشجاعة، في قلوب الذين انخلعت قلوبهم هلعاً (وغافل) واحد منهم-

ردد خلف هوسته يومذاك بصوت يتدفق حرارة واصراراً ممسكاً بندقية

من وسطها ملوحاً بها عالياً.. (كل حي بالدنيا اعليه موته) وكان لعة الرصاص زغاريد عرس، وشظاياها من حوله (ملبس واهليه) آه يا خلف لولا قلبك الطفولي- بيدر حنطة بلا حراس- حتى لكأنك تهوى أن تكون المخدوع ابداً، المكذوب عليه دائماً تماسك الرجال. استمدوا العزم من (هوستك) طوبى لمن ملك زمام نفسه عند زخة الرصاص الاولى- بعدها تعتاد اذناه ازير الرصاص، ويتباطئ نبض القلوب. أن تعقل ركبتك في الخندق، فذلك شئ رهيب، لكنه شرط الانتصار. لو فرض الثوار على رؤسائهم أن يعقلوا الأرجل في الخنادق الامامية، لما فشلت الثورة، ولما سيطر الانكليز. لكنهم كما وصفهم المهوال (بلّشها ونام ابسردابه).

من الانصاف ان يذكر مهلهل بخير. لقد استعاض بشيخوخته عن عقل ركبته كما فعلنا نحن الشباب- حرص على سعدون فجنبه الخطرين: خطر الموت وخطر الهزيمة- وكلاهما أمر من الحنظل. قال بحكمة ودهاء: ابق في القرية فلا يصح تركها خاوية، ولا ينبغي أن تشعر النساء بالوحدة. فلتحسد ياسعدون حظك- اصيل على مربطه، لم تغربله ساحة السباق. فلا أنت قتيل مع صكر، ولا أنت هارب مع (احميد ابو البيه).

التقط سعدون جمرة من الموقد. تحركت فوق راحته مثل (هولة) تتقاذفها عصي اللاعبين. أمال كفه فاستقرت فوق التبغ بضربة محكمة اصابت الهدف. سحب نفساً عميقاً، ليحرق التبغ، وبه شوق لسماع نبوءة حسين.. قال غافل:

- هاي قسمة ونصيب. وروح مهلهل موش بيد ابن طرفه لو الرزج بيد ابن آدم چان باع الهوا بيع.. وقال خلف: الانكليز ما يمشون براي واحد..

الهم رايبهم. وعرض حسين رايه على صورة تساؤل: هل تتعفف انت ياسعدون عن سلقه بلسانك لو سئلت عنه ذات يوم؟ وهل تتردد في جلد ابن طرفه (لو عرض علباه للراشدي!) واذا سمحت لنفسك أن تفعل بالخصم ما أنت قادر عليه، فلا تستغرب، ولا تستنكر أن يكيل لك الصاع الذي تمنيت أن تكيل به!

ضجوا بضحكة قصيرة، وأماتها صمت مفاجيء. تشاغل كل منهم بتهيئة سبيله، نفخ غافل حزمة دخان رطبة في وجه سعدون وسأله بلهجة تجمع بين الجد والهزل:

- سعدون بروح مهلهل لو اطوك الف ربية.. شتسوي بيهن؟

أجاب سعدون بلهجة الواثق:

- بسيطه! أخذ الخمس. والبقايا للعشيرة.

لم يأت بجديد. فقد تعارفوا منذ زمن ضاع تأريخه، على أن تكون حصّة مهلهل ومن بعده سعدون، الخمس من الغنيمة والسرقة وغلة الأرض. وما كان ذلك دون مقابل، فهو الذي يواجه الجابي ويدفع الضريبة بعد أن تجمعها العشيرة. وفي بيته ينزل الجبابة، يحصون المواشي ويأخذون (الكوده) كل عام. واليه أوكلوا قضاء العشيرة، وهو سفيرها لدى العشائر الاخرى. في ربعته يشربون القهوة ويبددون الوقت الزائد، فالربعة ناديهن ومسجدهم ودار ضيافتهم.

قال خلف بثقة:

- اسمع. حصتي من الالف ربية، زبون شال ترمه.. وبلابوش دنيا!

فردد حسين هوسة (ومن يعرض لك جاون جيبه!).

ولم يدركوا مغزى الهوسة. عرفوه هكذا، يردد الماثور او بيت الشعر في أي وقت شاء، ولا يجيب عن اسئلتهم. لماذا! ولنا! وكيف! ومع ذلك لا يجروون حتى على التفكير بان حسين يلقي الكلام على عواهنه، ولطالما أسمعوه في الحضور والغياب وتبعاً للمناسبة: (الداهية.. أو الحكيم.. أو الجنى)

انبرى غافل بحذر وتردد، مدركاً أن ما يدعو له غير مألوف، وأنه يخطو في طريق لم يمش من قبل تسوقه رغبة لكسب ود سعدون والتقرب اليه، ولعل حلاوة الاتيان بالجديد والمثير، سبب من اسباب اقتراحه: ينبغي أن لا تبدد اكرامية الانكليزي وتضيع بين مئات الايدي. لا تنفع هذا ولا ذاك ولا تترك أثراً ملموساً بيننا الذي اراه ان تخصص لشيء مهم يعنى الجميع امره.

رفع رأسه نحو سقف الربعة، وأشار باصبعه الى ثقب يتسع الواحد منها لمرو عصفور، وادف: هذا ما يلوكك لبيت مهلهل، حظ العشيره وبختها اريده وكل العشيره تريده جديد وكاشخ كاعه وسماه، كل الفليان شغل الحي والسجاجيد حياجة بني لام) وعدة الكهوة (شطراوية تتلامع مثل النجوم).

توقف حسين عن العبث بسبخته. تذكر راعي الابل، في الطرف الغربي من هورة البترا انطلق كلب صيده وراء أرنب مذعور. ركض.. ركض بعيداً.. غاب عن مدى البصر. رجع السلوقي مجهداً يحمل الارنب بين فكيه.. استل البدوي خنجره، وحز رأس الارنب، ثم رماه للسلوقي... تلقفه بنهم ضحكت وقلت: بلابوش ياسليت.. اكل صيدك وحدك!.. رد البدوي

لا يا عم لوحده يكتله الروع!

حاول غافل أن يتبين أثر اقتراحه على وجوه أصحابه. ما كان ذلك سهلاً ، وقد انطفت النار وخيم الظلام. تعجل خلف في اعلان موافقته، وقد اذكى حماسه، واستثار نخوته، اقتراح غافل، الذي انصب على تجديد ربيعة مهلهل ووجد حسين نفسه يؤيد الاقتراح.

امتدت يد سعدون الى (خاشوكة النار) شطر كومة الرماد، فتلاّ الجمر المطمور: فكرة جيدة ورائعة، والامر يختلف تماماً عما تعارفنا عليه.. هم يستخرجون الخمس من الغلة والغنيمة والمسروق، ولم يحدث أن جنت بغنيمة. انه لامر يستحق التفكير، ولكن ما دام السمك في مائه، ولم يخرج الامر من الممكن الى الواقع، فلأتحدث بلغة اخرى. اتخذ من "الخاشوكة" متكناً، وتنحى توطئة للكلام. ثم توجه نحو غافل كالمعاتب: ما دام ابناء العشيرة يقاسمونني كل شيء ولم يجروا أحد منهم حتى الان، على منع الخمس.. خذ مثلاً ولدك عبيد عندما سلب العطار قبل اسابيع. لم يخف حتى إبر الخياطة والحناء والبخور، وصفائر الاشياء التي حفل بها (خرج) العطار، بل حملها جميعاً الى بيتي لاستخراج الخمس- واذا كان الحال على هذا المنوال ، لماذا تقترح عليّ حرمان العشيرة من حصتها؟ أتريد أن أكون مثل (أبو بيوضي)؟

الكل يعرف حكاية الرجل الضعيف الذي يتفضل عليه الصيادون بين يوم وآخر، مما يصطادون. فلما رمى القدر ذات يوم بين يديه طائر البيوضي، وهو صيد هزيل لا يكبر الحمامة ولا يدانيها في طعم لحمها، وقف بين اكواخ الصيادين مجاهراً:

- ياربنا اسمعوا واعلموا.. الحاضر يخبر الغائب ، بطلت الطعمه بين
الجيران من عين هاليوم!
دافع غافل بحماس عن اقتراحه ما ردتها اتصير بدون شور العشيرة..
وانه اعرف الزلم واحد واحد.. واعرفهم يتونسون على هالراي.
وكان حسين يعبث بحبات مسبحته على نحو موصول.. سمعوه اخيرا
يردد: (يزليخا ليوسف تاليها!).

الفصل الثاني

موجودات

أشرق وجه خلف بابشامة، حين أقبل أحمد أبو البينة ، يتبعه ولده،
وقال لحسين، مع غمرة بالحاجب:

- شلعتها من أبو البينة، عين تضحك وعين تبجي، ذبيحة بيها سبع
احظوظ.. بلابوش دنيا!

سأل حسين نفسه: هل يعود خضوع أبو البينة. الى ذلك الحادث
التأريخي؟، يوم وقف خلف على مترب النهر ليمد المقاتلين بالعزيمة فرأه
يحبو متخفيا بين الاشواك موليا الادبار للمعركة؟ وهمس لي يومها لقد
رأني الوح بالبندقية وعرف أنني لمحتة فحاول ان يتماسك لكن حياته كانت
عزيزة عليه. وخجلت.. خجلت يا حسين.. أكره ان أطلع على عورة.. والهزيمة
عورة

(قدوه اغدي لك يا أبو ناصر لاتفضحه.. لاتسويها) وجاءت الفضيحة من
شخص آخر.. فقد رأته (سعد) وعيرته: (ها يمصّم شاردي!!) وكان
جوابه وقحا- وقاحة الجبناء: (اسكتي اسكتي. هذا ضرب رصاص ما هو
شيل ازور!!).

التفت حسين الى سعدون وعاتبه ثانية.

- عادتنا اليصير عنده ولد ما يحمس كهوة بربعته ثلث تيام.. انت ليش
سويتها سبع تيام؟

اجاب سعدون وفي صوته غنة المغلوب على امره:

- موش بيدي يا حسين.. رادوها هيچ!

ضحك حسين وقال:

- لو ما وادم جاعده چنت اگول عليك خوش بيت شعر.

تكلف سعدون ضحكة وقال:

- اعرفه..

وهمهم خلف:

- هم عرفته بلابوش دنيا!

وتطوع غافل فرمى كلمته من وراء الوجاق:

- يمكن أنه هم عرفته وروح مهلهل.. چاهيه شنهي مضمومه!

بارك ابو البينة لسعدون:

- امبارك بها الخيال..

وتوالت التهاني من ابناء العشيرة، في ليلة العشاء:

- امبارك بها لحاصود امبارك بها لچادود.. امبارك بها لحاشوش..

ويعيد حسين ترنيمة مع كل تهنة:

ابني المضغته البارود مفظوم اعلى سركيها

غم راي التجيب اهدان وتكمطه اعلى رجليها

وبارك سويلم الصگر لسعدون:

- امبارك بها لغزاي

فاغتتمها حسين فرصة وأعرب عما يدور في خلده:

- اللي باركوا لسعدون، وسموا الولد حاشوش، اكيد محتازين

حواشيش، عدهم دبش جثيرا! واللي سموه حاصود، لازم زرعهم زين

وتذكروا الحصاد.

لكن اليسميه غزاي شنهو مگصده؟

الغزو ينزاد له زلم من صدگ.. والوادم هليام تتلبد حدر العاكول!

جنا مثل الكرعاء اللي تتباهى بشعر اختها جنا انزامط بثورة اهل
الفرات. لكن من فشلت وحكموا الانكريز، استحلينا هوسه ذاك المهوال:
(اخذيني ايسدج يا خاله!) واظن يجي يوم يفرضون علينا الانكريز كل
جريه لازم سلاحها كطوة مسحاه!!

تأفف سعدون متضايقا، ورمى حسينا بنظرة حادة.. يذكره بوصية
مكررة، مفادها تجنب الخوض في احاديث من هذا النوع. وقال في سره:
يا له من رجل متعب.. غريب الاطوار.. مفتون بالشعر وبثورة الفرات، حتى
بعد فشلها

أطل فالح بن سعدون، يحمل هاون القهوة، يتبعه حمزة بن خلف، وقد
وضع الحمماس على كتفه، كما يفعل الفلاح بالمسحاة.. وما ان اقتربا من
باب الربعة حتى انزل الحمماس عن كتفه، امسكه بيد واحدة.. اداره
بسرعة.. رفعه الى اعلى.. رماه في الهواء مستديرا تلقفه قبل ان يسقط
على الارض.

صاح خلف، بلهجة انكار تخفي شيئا من الاعجاب، ببراعة ولده:

- يا جماعة هذا موش فرخ.. هذا جني.. بلبوش دنيا!

تطلع عبيد بن غافل في جانب الافق الغربي، وراح يتناول ويحدد
البصر، كما لو كانت الرؤيا صعبة، ولما يزل بين الشمس ومغربها حوالي
ساعة. يئس من استتارة الحاضرين، واستفسارهم، فأعلن بلهجة ترهيب:

- شرطه!

حذق الحاضرون في وجوه بعضهم، بعيون زائفة، كل يستجير صامتا
ساد الاضطراب، واختل ترتيب المجلس.. ثم انضم كثيرون الى عبيد في

وقفته. صحح الخير بعضهم:

- واحد شرطي وواحد قولجي..

امر سعدون بدخول الجميع، واستعاد نظام الديوان. فشرع حسين يردد بجرس معين:

يامرحبا بذوله المجبلين وعلى ظهورهن جنهم شياطين

حرك سعدون كفيه.. مباحدا ما بين اصابعهما وقال معاتبا:

- يا احسين: مية نويه كتلك.. اكفنا شر هالحجي.. يا معود هاي حكومه..
لاتجيب النا سهبه!
قال خلف همساً:

- كلبي مستراح من جيتهم..

وقال غافل مقاطعا، كانه يصل ما انقطع من حديث البارحة:

- اجا الخير وروح مهلهل، چاهية شنهي مضمومه!

رمقه سعدون بنظرة تائب. فما حديث البارحة الا سر، وما ينبغي كشفه للجميع.

إرتسم الخوف على وجه (احميد ابو البيه). وراح يندب حظه في السر:
ضاعت الفرصة. وتحلل خلف من عهده.. قال لي أملاً كفيك من أطايب
اللحم أما الآن فسوف يستأثر به هذان اللسان الجديدان. اكره لو دعاني
شرطي الى بيته فكيف وهو ينتزع قطعة اللحم من يدي؟! ومن يدري فقد
يخفيان مصيبة.. ضريبة جديدة.. ربما خطر للحكومة ان تفرض (الكوده)
على الحمير والكلاب.

ثم همس احميد لجاره:

- تف يا اول نصيب.. هم حضروها الشرطه!!
فرد صاحبه:

- لا عاب حللك.. صار العشا زغبوت بجيتهم.

تطلع حسين في وجه الرجل الذي يصاحب الشرطي، وسأل نفسه مترددا: اظنني رأيت من قبل؟ وسرعان ما تذكر: لقد رأيت بالتاكيد.. كان مع الجندرية قبيل حصار الكوت.. ايام الجهاد.. لماذا كان الجهاد؟ اعترف انني لا افهم شيئا من اسرار الدين.. الجهاد لحماية حكم العثمانيين.. الله ينصر الدين والدولة.. الله يطول عمر السلطان. وترجل الجندرية وادمى ظهر (ابو البينه) وهو يعريد (يريد لوبيا للهسان!) الجهاد مقدس، ماذا يصنع بنا الانكليز؟ لن يفعلوا عشر معشار ما صنعه الجندرية، اخرس القضية ذات صلة بالدين... ولكن يامولاي. إخرس. اسمح لي بكلمة واحدة. لم لا تصدر فتوى بالجهاد ضد كل الظالمين؟ فتوى بالخلاص. وصرخ احمد ابو البينه (منين اجيب لوبيا نازل بالجزيره) ثم عريد الجندرية (يريد ماي سافي للهسان) (يا بعد جبدي هذا ماينا اللي نشره) كلب عرب! ولكن يا مولاي هل الدين صخله يحرس ضرعها السلطان العثماني؟ اخرس!. وهز صلال ذيله. لا باشا من عرب ولا ماشه من خشب. (صبري بك ما النا حياة من بعدكم) اخذ الكاولية من ابن طرفه. دفع لها خمس ربيات وتنقلت بين الاحضان. ولافتوى للجهاد ضد كل الظالمين. فتوى بالخلاص.. طفع البشر على محيا سعدون، وهو يستعرض الحال مع نفسه: عشاء (بييض الوجه) رب صدفة خير من ميعاد. وتبليغ بالحضور الى سراي الحكومة.. لابد انها الدعوة المنتظرة من الحاكم الانكليزي.

تذكر سؤال غافل (لو أطوك الف ربيه شتسوي بيهن؟): وكأنها حمل
ثقيل ينبغي التخلص منه بأي ثمن.. يالك من سفيه.. التفت الى الشرطي
والساعي وقال بلهجة حازمة:

- تعشوا وامشوا

فأعذر الشرطي بضيق الوقت.

وكان احميد ابو البينه يحاور سعدونا في سره (صار حاتم طي
بذبيحتي.. خلهم يولون).

أقسم سعدون بشرف الحكومة لن يدعهما يذهبان قبل تناول العشاء.

(احميد ابو البينه): عزت حياتك شنهي هالزحمة. يحلف بشرف
الحكومة!! لوما خيافة الله جنت اگول على شرفك وشرف الحكومة.. خلهم
يولون). عائد الساعي ورفض الدعوة بإصرار فرد عليه سعدون:

- المثل اگول لو تلگاك الخير لا تزل عن دريه.

(احميد ابو البينه): ما گالوا المثل على هيچ حسبه يا حاتم طي- آخر
زمان - بين الخير وبين الشرطي عداوه مثل عداوة ابليس وي بسم الله
الرحمن الرحيم!!!).

لم ينثن الساعي عن عزمه ، مسببا إصراره بضرورة تبليغ صلال، لأنه
مطلوب للحضور في سراي الحكومة صبيحة بعد غد.

فخاطبه احميد ابو البينه في سره: (بس انتة ابن اوادم وتعرف الاصول
وگایم بواجبك، أصير ممنون لليعرف واجبه.. اشلع الشرطي اشلعه..) ثم
رفع صوته حال مغادرتهم الربعة.

- أفيش.. هسه استراحيت.. روحه بلا رده!

استراح سعدون الى جانب (الصيرة) الشرقي، مضيقا عينيه لاقصى حد، يرامق شمس الصباح، مستمتعا بالدفء، وقد نشر التبغ على طرف عباته لتجففه اشعة الشمس. كان اول القادمين اليه غافل. شرع يتحدث، قبل ان يجلس، عن سفرة الغد.. والحلم الذي اضحى حقيقة. وربما يكون العطاء اكثر من الف ربية. استعذب سعدون هذا اللون من الحديث. ولكنه استدرك، وأعلن تدمره من صحة صلال:

- ما تنراد السفره وي هذا المگلسن، شايف روحه يفتهم، عود حافظ له اشجم جلمه: يعني.. والى حيث!

وراح غافل يطم الشتيمة لتصير مضاعفة. ادركهما خلف وهما يشتمان صلالا، فأضاف الى صنوف الشتائم مجموعة جديدة:

(ابو المعيديات. ابو الكاوليات.. ابو الدنبك) وتناهى طرف من شتائمهم لمسامع حسين، قبل ان يصل، فصاح من مكانه:

- غيبة الصبح الواحد بسبعين! دوركم اياه هالمنعول والدين..

وكانت اول ضحكات يومهم، التي يسميها خلف (غموس الخبز) ويبالغ حسين فيقول:

(الضحج زادنا).

ملا سعدون (سبيله) بالتبغ تبعه حسين وراح يملأ (سبيله) من تبغ سعدون المجفف، ثم غمز لخلف وغافل قائلاً:

- خايين هذا خوش تنن يابس!

واتبع ذلك بترديدة شائعة: عنده اعلوچ دوروله.. (عنده اعلوچ

طيحوله...). قال سعدون وهو يراهم ينهبون تبغه:

- شنهي هيه.. فرهود؟ بيت محترج؟!

اجابه حسين:

- ضلعك سمين.. باجر انحط الالف ربيه على كلبك واتگوم تطفر نهران!

تنهد سعدون وقال:

- اويلاخ يا حسين.. كون صدگك.. اشتكره منها؟ شعره من جلد خنزير!

أخرج كل منهم كيس زناده. امسك الحلقة المعدنية بيمناه والحصاة

بيسراه، وعلى حافتها نتقة (الوذيح) وراحوا يقدحون. اشتعل وذيح حسين

ثم سعدون وبعدهما غافل- وظل خلف يقدح بلا جدوى، فقال سعدون

يسخر من زناد خلف.

- لا يامال الكوم ولا يچاچي!

واضاف غافل:

- امكيسن وروح مهلهل ! چاهيه شنهي مضمومه؟

وشارك حسين بقوله:

- مثل زناد الجصاني.. ايدك عليه من كبر الجلبه للكوت، تالي من ورث

كال له هجم بيتك أبو طگه!

التفت خلف الى سعدون وقال معاتباً:

- عندك صلبوخ زايد.. ليش ما تطيني اياه؟

- اشتدفع بداله؟

وقاطعهما حسين منغما:

حط امتيعك بالينطي!

عمك خالك لاتنطي

أطلت، من وراء الصيرة، حسنه بنت سعدون، وطالبته بخلع الثوب
واليشماغ لتغسلهما، استعدادا لسفرة الغد.

لوى خلف رقبته، وتطلع في وجهها المستدير المشرق، وعينها السوداوين
الواسعتين وقال بلهجة حنونة:

- اللهم صلي على محمد.. صرتي مره من صدكك، اتخوفين الجندرمه!
ثم كرر دعاية مألوفة لها منذ الطفولة:

- بعدج تاخذييني.. يو بطلتي؟

توردت وجنتاهها، كتمت ابتسامتها، ولم تجب. سألها أبوها ان كانوا
يدخرون شيئا من (الشنان) لغسل الملابس فأجابت: نستعيض عنه
بالخالة.

استأذنهم سعدون لدخول الربة.. وبعد قليل عاد يستر جسمه بالزبون ،
مكفكا اطرافه بحذر. نظر اليه حسين وانشد ساخرا:

خلي الحجل ينشاف كصري زبونج

كولي جليل الخام من ينشدونج

امسك خلف طرف الزبون وتفحصه مليا ، ثم اعلن:

- ياولد.. هذا زبونك طايح حظه.. موش مال هيچ طرشه.. ومواجهة
انگريز..

قال حسين وهو يدقق النظر في الزبون:

- مثل ما گال خلف. اخذ زبوني..

اشار سعدون الى لحيته ورأسه وقال لحسين:

- ينراد لي زيان يا ابو ناصر..

ثم اردف مازحا:

ترضى امشي للانگريزي بهالحيه المكوشه؟!

- لا ما ايصير. الانگريزي ما ينزادله لحيه امسرحه!

احنى رأسه بين يدي حسين، مظلدا للسكون. وكان حسين يدندن مع خشخشة الموسيقى (شلك بطول الراس سولك مجيدي .) فأذا ما استغاث سعدون متألما ، رفع حسين موسه وقال:

- هاه.. تسكت يو اخلي زيانك نص ونص.. اوديك خروعه للانگريزي؟!

- زيان الاسود.. مومتني..

- اليريد المدرري شنهو.. يصبر على الأحوه!

وانشد حسين وهو يسكب الماء على لحية سعدون:

لاتكضي ايام عمرك بلها- واعتلي خيل الصبايا بلها
دني الماي اللحيثك بلها- لو شفت جارك لحيته امرينه
ضحك خلف وقال:

- صدك. أبلل لحيتي.. حتى اتزيني بعد سعدون؟

أجابه حسين:

- خايب مالك بغير كلب! هذا رايع للانگريزي ويتزين حتى يصير حلو

بعين الصاحب.. انتة على يا مال متعب روحك؟!

ولما انجز تحديد لحية سعدون بالموسى، امسك المقص مرددا:

(يحلون الشوارب ما نسنكم..) ثم سأل:

- إتريد اسوي شواربك على طرز العصملي يو طرز الانگريزي؟!

- طرز العصملي اشلون والانگريزي اشلون؟

- العصملي مثل شوارب غافل مفتولات لفوك والانگريزي (ولو لهسه ما شاي ف واحد منهم) لكن اكيد امدندلات لتحت!

اقتراح غافل ان يلبس سعدون ثيابه كاملة، ويتهيا كانه في حضرة الحاكم. واكمل الاقتراح خلف، بأن يجري التمارين على مقابلة الحاكم.. فيتصور حسينا هو الحاكم. يدخل عليه.. ويسلم.. ولما نهض سعدون لتنفيذ الاقتراح، استوقفه حسين، وأشار بأصبعه الى الحذاء الذي استحال لونه الى لون الطين وقال.

- سعدون. هذا كلاشك ما يلوگك... انت ما سامع كون واحد يمدح له سلعه ايگل لصاحبه اتلوگك لها الوجه.. فعاد هذا كلاشك ما يلوگك لوجه الحاكم الانگريزي!

فتر حماس سعدون.. وتساءل:

- ياهو منكم عنده اكلاش زين؟

حسين: اكلاشي يعضه الجلب ويعوص، هالتشوفه بعينك..

خلف: احتركت فرده من كلاشي.. وصار مده أمشي حافي.. بلبوش

كلشان!

غافل: أنه بالجافله عريان ممن ولا خاف.. صار لي سنتين وروح مهلهل

أمشي حافي..

التفت حسين الى سعدون وغمزه قبل ان يعلن:

- خوش كلاش عند ابو البينه..

واتبع ذلك بنظرة وابتسامة لخلف.

قهقه سعدون وصاح:

- صادت.. وروح مهلهل صادت!
ادرك خلف ماذا يعني كل هذا، فقال بحزم:
- لا لا كلشي ولا هاي. هم اتريدون اذنبونها برگبتني.
ضحك حسين وقال ملغزا:
- لا وروح ابوك، مامنھا چاره، حسبه الكلاش برگبتك!
رد خلف، بلهجة المشفق على (ابو البينه):
- طاحت عليه طرکاعه، من گال عليكم السلام؟
امس اخذت منه طلي ذبيحه لابن سعدون الجديد، وخمس ربيات كرضه،
مصرف لسعدون واليوم اتريدوني آخذ كلاشه!
مد سعدون يده الى جيب (الزبون). اخرج كيس الزناد- وناولہ حصاة
بيضاء، وقال:
- موش هاي الطلبتها؟ هسه شتگول.. تسوا الروحه لبو البينه يولاء؟
تناولها خلف. قلبها بين اصابعه. ابتسم ثم قال وهو يتهيأ للنهوض:
- اروح، وامري لله.
استوقفه حسين ليملي عليه وصية:
- گل له: انريد كلاشك للبركه! حتى اتصير سفرة سعدون راشده!
- لا اتخاف علي، تعلمت على هالشچولات هم عندي ابو البينه آخر..
ادركوا مغزى قوله، الذي ينصرف الى اخيه جودة، صاحب اكبر قطع
غنم في القرية، وابخل الجميع باستثناء (ابو البينه).
رجع خلف يحمل كلاش ابو البينه، فأستقبله حسين مهوسا:
(غط جاب الدرہ أضوت بيده!)

أعاد غافل اقتراحه: بأن يجري سعدون التمارين على مقابلة الحاكم.
وان يتهياً حسين لتقمص شخصية الحاكم. فأستجاب حسين اولاً وشرع
يخطب، كما لو ان شيوخ العشائر بين يديه:

- حكومة مال أنه كلش ممنون من شيوخ عشائر الكوت. كلش صديق
كلش زين ماكو تلايب.. ماكو هرايب.. مو مثل اهل فرات مشاغبين..
خسوساً مخسوس شيخ سعدون بن مهلهل كلش ممنون من هضرتك.. ما
يرضى واهد مثل هسين مشاغب يتكلم بديوان مال انتة.. ولانم يدير بالك
على خلف ابو همزه يسويه صديق مال احنا!

صاح خلف كأنه يدفع تهمة:

- لا عمي. لا العويذه واللويذه. لا اريد الانگريز ولا اريد صداگتهم.. لا
اعرفهم ولا يعرفوني.. نعمة والديهم!

تنبه سعدون الى ان زوجته كانت تراقب حركاته وتصفي الى خطبة
حسين وتبتسم فقال لاصدقائه:

- هاي الردتوها، حتى النسوان گامت تضحك علينا

واشار اليها وهي تحتضن المولود الجديد منزوية في ركن البيت. فخطر
لغافل سؤال مباغت:

- سعدون، وروح مهلهل، ما نشدناك ، اشسميتوا الولد الجديد؟

ولم يترك لسعدون فرصة الاجابة، بل سارع يقترح:

- أنه اشوف، وروح مهلهل، سموه صالح، مادام اخوه الجبير اسمه

فالح.

فرد عليه حسين ساخراً:

- خايب، اشماله حچيك اتخطري.. چاهو ترهيم شعر فالح وصالح
ومالح وچايح!

واقترح خلف ان يحمل المولود اسم جده (مهلهل).
فأجاب سعدون.

- اسميه ورا جيتي من بغداد.. اشوف نتيجة هالسفره واطلع الاسم من
النتيجة..

وبدا حسين ينغم بيتاً معروفا:

يلما خذيتي اهواج
شسمه ابنچ إيصير!

الفصل الثالث

مقدمة

بدأ حسين يخالس ولده النظر، من خلال السنة الذهب المتراقصة.. ثم كف عن مداعبة مسبحته. فضمن ناصر ان اباه يقرأ افكاره، وقال لنفسه هاهي نظراته تنفذ الى اعماقي المتفجرة شوقا الى لقائها فتحاشى نظراته، متخفيا وراء خلف حتى يخبو الذهب..

حوم خاطر مزعج استبد بحسين كلية، حملة على الانصراف لمحاورة نفسه: عاشق في عفوان شبابه- وخطيبته بنت سعدون تتفجر حيوية.. يسيل لها لعاب الزاهد في محرابه- حتى خلف لم يكتم اعجابه وافلنت منه العبارة

(اللهم صلي على محمد.. صرتي اتخوفين الجندرية)

وحكمة تقول ما اختلى رجل بأمرأة الا وكان الشيطان ثالثهما واذا ما سبق السيف العذل ما قيمة الندم؟ كان علي ان أخذ مهمة حراسة بيت سعدون واكلفه بحراسة بيتنا لست ادري لماذا اصغيت لوصية سعدون (ابن اخوي.. ابن اخوي.. النشمي ناصر ما اوصيك أكثر صير رجال زين لاتنام وتنقلب أريد انطارك وكفه) ولم أعرض مبيتي بدلا منه ولكن.. ولكن ياكهلا نسي شبابه ألا تتذكر ساعة حللت السرج عن ظهر الفرس؟ ناولتها السرج، ثم سكرنا بعناق.. ولا يسترنا سوى السرج. العشاق لايعدمون وسيلة اللقاء.. فلويت هنا حارسا ويات ناصر في بيتنا ما الذي يحول بينه وبين التسلسل اليها ؟ وعلى مبعدة اذرع من لحيتي يتمددان في فراش واحد.. هل احرسها ام احرس الفرس؟ انسيت يا ولدا يا كهلا نسي شبابه يا من يخادع نفسه يوم كانت أمه بين سبعة اخوة واخوات وتمددت معها تحت الغطاء؟ وليس بينك وبينهم سوى جسمها ؟ ان سحر العالم كله في

خدمة العشاق ولكل عاشق وعاشقة (كلاو خناس) وليس عبثاً قولهم...

فأجأه غافل بسؤال، بعد أن سئم الصمت:

- أبو ناصر شنهني هالسكتة؟ هاي موش من عاداتك

فأجاب حسين، دون سابق تدبير:

- المايسوكه مرضعه سوكت العصا ما ينفعه.

رد غافل، لمجرد كسر حدة الصمت.

- لا والله. العصا من الجنه. العصا تنفع الماينفعه مرضعه.

بدأ فالح بن سعدون على غير عادته، قليل الحركة، لا يغادر الربعة.

ليشعرهم أن مكان أبيه يشغله رجل. حاول مرارا اقحام نفسه بين الكهول،

لكن ملاحظاته كانت تتلاشى على التو.

توجه خلف برجائه الى حسين أن يعوضهم الليلة عن وحشة غياب

سعدون بإنشاد أحب الشعر الى نفسه.

أوجس ناصر بن حسين خيفة وسأل نفسه بقلق: لئن جاء مزاج أبي

الليلة وبدأ بشعر ثورة العشرين فيالحظي السيء.. ربما لا ينتهي قبل انبلاج

الفجر (تصخمننا وتعزينا!) وتضيع ليلة تعادل العمر كله.. أدركت أن ما

قدمته في الخفاء هدية ولكنها لم تعرف ما كنهها.. لا بد أنها عرفتھا الآن...

واقطع أنها تتشوف في ظلمة الليل. كم تحب المرأة.. فلطالما صرفت جل

الوقت المخصص لتعليمها الحياكة في بيتنا تتشوف بالمرأة.. وعلمتها الحب

قبل أن تتعلم حياكة السجاد- ما أروع وجهها في المرأة حين خالستها

النظر من قاطع الربعة.. أجزم أنها الآن تتشوف ما أحلى التشوف في

الظلمة- هل امسكت امرأة في ظلمة الليل؟ كيف عرفت حلاوة التشوف في

الظلمة؟ دحك من هذا الهراء..

انطلقت اسارير ناصر وهمس لنفسه مطمئنا هانت الشدة!! لم يقع
اختياره على شعر ثورة العشرين بل اختار شعر صديقه ابو الغمسي

أنه دوم اعلى المحاسن شاربج

شارب اسموم الحيايا شاربي

ما يطوبس للهضاييم شاربي

وخابت امك يلتعيش بمسكنه

أكتفى خلف بالقول:

- يابعد شاربي شارب..

وحرك غافل رأسه اعجابا

وأسر ناصر لنفسه معابثا:

(اي والله خابت امك يلّي اتضيع الليلة).

ثم واصل حسين انشاده:

ياحمد خيل الصبايا بالرهن

ما يعرفن هورهن من برهن

ام العلا بالسيف ما هي بالرهن

غصب علباشا يودي كركنا

استثار البيت حمية خلف، واعتبر دعوة سعدون من لدن الحاكم

الانكليزي منطبقة تماما على قول ابي الغمسي فقال بحماس:

- غصب على شبيه وشيب ابوه ودا على ابن مهلهل.

(ناصر: احسن تواده. بيها سبع احظوظ. والاحسن منها لو تروحون

تنامون.. الدنيا بارده واخاف عليكم من البرد! ولو خليتوني وحدي غصب
علباشا انوم فالح.. اطمره بفراشه. واشوفه شغلي وياها الليله.. ليله..)

لم يتوقف حسين عند ملاحظة خلف. انشد للشاعر بيتا آخر:

بركعوهن بالمطارج والبطن

بديرة العدوان خاطن والبطن

لا تكولش خيل ابو فدعم بطن

لحكن المديون واستافن منه

(ناصر: الليله استافي القضى والمضى. الف حبه ما بين الحدود والنهود

اكتر من هالوفا اتريدون!)

توقف حسين، ريثما يملأ سبيله بالتبغ. عاود الانشاد بجرس معطر، ورق

صوت المسبحة على كفه:

لابسه الشاكر وجالبته كلب

يابعد جوز الجلاوي والكلب

الماتشوفه العين يسلاه الكلب

ولو سلاه الكلب جيف اسلاه انا؟

(ناصر: يابويه هذا الحجي الزين..)

هسه تمام- يا بعد جوز الجلاوي والكلب- ولو ما شايف الشاكر.. لكن

اكيد شي حلو لو تلبسين.. قطعة فلي هم تطلعين حلوه..)

وخفض حسين صوته، ثم تابع ينشد لابي الغمسي:

لابسه العسجد وخصر الخل خل

وفوكك مجرى الماي شدت خل خل

جيت اكض الزلف كالت خله خل

اشلون اخلي الزلف وحياتي منه

(ناصر: اكض الزلف لو بيدها كچك جابلي والويها لوي واسوي الحچي

چويمتين- ابكيفها؟ خله خل!! حسابالها لعب طم اخريزه..)

قدم حسين للبيت التالي: بأنه منسوب الى زوجة ابي الغمسي، لكنه يشك في صحة الرواية ويميل الى انه من نظم ابي الغمسي نفسه، او ربما وضعه شاعر مجهول، بعد ان صنع حكايته، لقصد ما، وسبب الشك في نسبة البيت كما يراه حسين يعود الى ان المرأة في الريف لاتجرؤ على مصارحة زوجها، بأن غيره تغزل بها، وهي في عصمته. والرواية تقول ان ابا الغمسي اعجب بزوجة احد رعاة الجاموس- وهو كما يعرف عنه ولوع بالحسان- فطوى بيته وجاور ذلك الراعي، وفيما كان ابو الغمسي منهمكا بملاحقة تلك المرأة، كانت زوجته تتعرض لنفس الشيء من الراعي.. فصاغت التحذير لزوجها في هذا البيت:

ريت ربك يا اغميس بيدرك

ليش مشيك كل زمانك بيدرك

يلتحوف الناس حافوا بيدرك

لا يعطرونه ويفلسونك منه

هتف خلف:

- اياه.. اياه.. ذهب.. بلبوش دنيا.. هذا ذهب موش حچي!

وضم غافل رأيه الى رأي حسين، بعدم امكانية المرأة على مصارحة زوجها بهذا الشكل، ولايفصلهم عن الحادث المزعوم اكثر من جيل، ولما تزل

العادات والقيم كما هي- لكن خلفا تجاهل اقوال غافل وكرر أعجابه:
- اصير خادم وممنون لليحجي الصدك، ما حبيت شي بالدنيا من كثر
ما حبيت الصدك، بلابوش صدك! وتسارعت حركة المسبحة فوق كف
حسين بأيقاع بديع. قرأ لنفس الشاعر:

لاتلوم اشهاب لا ونش وجن
ويحسب الساعات لو راحن وجن
بين نهديج والخواصر والوجن
ضيعت كارة اكرنفل مئمنه

(ناصر: يا به! بين نهديج والخواصر.. اعوينة ابو يومي- وصلت لطين
الصري.. وصلت لطين السبلان- خايب يناصر كارة اكرنفل. هو الكرنفل
كواير؟ خله ايصير بيادر ياهي مالتك؟ بين نهديج والخواصر اعوينة ابو
يومي..)

وقرأ حسين للشاعر نفسه:
يا خشيف الوارده بشاطي الحلال
وشاده الرأس جفيه حلال
اه واويلاه من شافج حلال
مصبة ارياكج لعيش ابها سنه
(ناصر: يا به.. يامصبة ارياكج.. نشفتوا ارياكج واللّه حجي جواهر- ما
احسن منه غير روحتمك يابويه.. حتى اشوف شنهي هاي مصبة الارياكج-
كبل ما شايفها اكصى حد واصل ليه حبة الوجنات والركبه).

ياخشيف الوارده من شيب أبوه

وجاسره المشعل بشييه وشيب ابوه

واليحجن حيل زين شيب ابوه

والتحبنا الحية ابوها امزينه

(ناصر: الحية ابوها امزينه بموس بايج.. يو بمنجل اعمى.. الليله انزين
شيب ابوها لا ابو الانگريزي الراح ايواجهه لا لا الانگريزي احسن دكه
سواها بعمره..)

استخفه شيء من الطرب. فراح يهتز منتشيا وقرأ للشاعر

جهرجيتي تكرر الممش كرص

وما تهاب الشالغ زناده وكرص

افرث الباكه وغمس بالكرص

اكل واشبع والمدابج لي انا

(احوه.. احوه.. اعوينه ابو يومي.. اعوينه ابو ساعتني افرث الباكه
واغمس واكل مية كرص. والطم لطم بالباكه!)

حالما فرغ حسين من انشاد البيت استشعر لذعة ندم وخاطب نفسه: لقد
أفردت.. لقد كنت أهذي.. انظر ايها المتصابي ماذا حل بخلف كيف
استخفه الطرب.. وهذا غافل كذلك فما ظنك بشاب مثل ناصر لا يفصله عن
خطيبته سوى نسيج مهلهل يدعى ستارا ولولا جعجة الرحي بين يديها
لسمعت هذا الشعر الذي القيته دون روية ولا تفكير. ربي حسن العاقبة.

سكت حسين، كأنه يكفر عما بدر بالسكوت. لم يستجب لتوسلات خلف
بالقاء المزيد من الشعر. تطلع من باب الربعة، ثم أشعرهم برغبته في
الانصراف:

- فات وكث اهواي.. الاحسن نمشي.

اتفق خلف وغافل قبل مغادرتهما الربعة على الذهاب، قبل طلوع الشمس، لتفقد زرع البترا والاطمننان على زرع الديم.

قطع غافل حواراه مع خلف والتفت الى حسين يسأله دون مناسبة:

- ليش بطلت من زرع الديم..؟

همهم حسين بكلمات غير مفهومة ثم رفع صوته قائلاً:

- من جنت ازرع ديم، شبهت روجي باليضيف بيت ويظل جاعد بكوسره

ما يدري اشوكت يطلع له احد من اهل البيت ويطييه رغيف زقنبوت. وچانت

عيني بأيام زرعي للديم مشبوحة للسما اودع الغيمة الماشيه واتلكي المجبلة.

تالي گلت: هالرغيف الاسود المشدود بجناح بومه ما اريده!

التفت خلف الى غافل وسأله:

- افتهمت شي من حجي حسين؟

- حرام.. وروح مهلهل.. كلشي ما افتهمت!

أوشك ناصر على فقدان صبره، والخروج عن اتزانة، لعناد فالح بن

سعدون، واصراره على مشاركته الحراسة. وقال في سره:

(ما خلصنا من ابو الغمسي الا بالشافعات. انوب فالح صار لي ابو زيد

الهلال!) اقنعه اخيرا بأن اقتسام الليل بين الحارسين هو الاسلوب

الافضل، وعليه ان يأوى الى فراشه لمدة معينة يوقظه بعدها لتسلم الحراسة

الصباحية، موحيا اليه بأن (المصبحجي) له الدور الاعظم وعليه المعول في

صيانة البيت.

كفت عن تحريك الرحي، فشمل الهدوء ارجاء البيت. خرج ناصر

ليحرض الكلاب على النباح، صفر لها و (وشت)، دار حول البيت دورة كاملة. كان الجو منعشاً رغم برودته. دخل الربعة ليحمي اطراف اصابعه في رماد الوجاق. خرج ثانية ، متنكباً بندقيته. سمعت وقع خطواته. كانت امها تغط في نوم عميق. قدر ان وقتاً كافياً مضى على تمدد فالح تحت الغطاء. دخل الربعة ثانية وراح يعبث برماد الوجاق كأنه يبحث عن الجمر المطمور. فاجأه فالح من تحت الـ (يزار) يسأل:

- هاه.. بردت؟

- لا ما بردان. نام (لا يامال النعويم كلب حافرك الليله دار بعيونك

ملح!)

سمعتهما يتحاوران، فأنكرت على خطيبتها تصرفه، وعاتبته في سرها غشيم! لا تكفيك احاديث النهار ولم يشبعك كلام خلف ولا الشعر الذي قاله ابوك.. تريد مواصلة الحديث مع فالح لتضيع بقية الليل في ثرثرة لاتغني ولاتسمن. الوقت ليس طوع أمرنا ألا تفهم ياغشيم دعه ينام. لا تضيع ساعات لن تعوض ابداً

أه من الوقت تقول أمك بعد، قسمة الحاصل مباشرة وأزف عروسا (كللش) حينذاك نمثلك الوقت. واصنع لك بيتاً لايدانيه بيتكم- على نظافته وترتيبه- أحوك السجاد والوسائد بيدي واملاً وسادتك بالريش.. وكل خيط في فراشنا وغطائنا يفوح منه البخور دائماً تنتهي اليها شخير فالح. سمعت وقع اقدام ناصر حول البيت فخاطبته مؤنبة:

أخذ أمر الحراسة مأخذ الجد وكأن اللصوص يترصدون غفلته لينقضوا

على الكنز! غشيم. لقد أدرك أخيراً، ها هو يقترب لابد أنه دخل الربعة.
ارتجفت قليلاً ثم سألت نفسها: ولكن يابنت يا مستورة. كيف؟ هل
تصورتي اللقاء؟ هذا اللقاء في مثل هذا الوقت؟ كلما قاله وهو يدس
(المشوفة) في يدي (الليلة الليلة) هل ينسف الستار القاطع ويتمدد
بجانبي؟ (اشأه!)

التصقت بأختها الصغرى النائمة. احست دنوه من الستار.. سحبت
رأسها عن الوسادة. لامست قدميها ستار القاطع. طرح بندقيته جانبا
سحب فراشه جوار القاطع. دقق النظر: الستار يتحرك. مد يده مؤملاً
تشابك الكفين أولاً صرخ الطفل الرضيع بصوت يشبه زمارة قصب
صنعها غشيم.

فأجفل ناصر وسمع حفيف ثوبها وهي تبتعد عن الستار ردت الام،
وهي تتناوب، بضع كلمات غير مفهومة، والقمت الطفل ثديه فكف عن
البكاء.

غادر الربعة- صفر مرتين، ليشعر الام انه قائم بواجب الحراسة- ساد
السكون ثانية. فتساءل وهو يرهف السمع: هل عاودت نومها العميق؟ لو
كان الامر كذلك لشعرت حسنة ونبهتني بأشارة. ربما نذرت وحاذرت اكثر
مما ينبغي وعليّ أن آخذ المبادرة.. من هنا أرفع الستار وأزحف وأعرف
أين هي الآن.

دس رأسه تحت الستار معتمدا مرفقيه على الارض صرخ الطفل ثانية.

(ناصر: يامشروع. اشمالك مگروص عگرب!)

نادت الام:

- حسنه حسنه اكعدي يمه وجي لي نار-

(ناصر نار تشعل ابيج يا منعولة الاهل)

سمع ديكا يصيح في طرف القرية، فركبه الغم. خرج من الربعة فتنسم
ريح الصباح البارد. تناوبت الديكة صياحها مؤذنة بانبلاج الفجر.
فتضاعف غمه وبدأ يلوم نفسه بعنف: دعك من هذه الثثرة السخيفة
والتبريرات الباردة، ولا تلومن الا نفسك، وعليك ان تعترف بأنك لاتصلح
لتدبير شيء وينطبق عليك المأثور.

(ما يحل رجل دجاجة).

استيقظت القرية على ثغاء الغنم وخوار البقر المختلط بنهيق الحمير،
فيما اخذت الكلاب الى السكينة.

سمع خلفاً يصوت:

- غافل.. يا غافل. تريكت يو بعدك؟

(ناصر. بطران! امغيش ايشوف ديمته..)

ثم رأى خلفاً يتبعه غافل، ووراءهما خيط من دخان التبغ المتصاعد من
(السبيلين) وسمع غافلاً يقول لصاحبه:

- اشدعوه امغيشين. ابو ثور ما أكل ثوره.

(ناصر. تحجي على ابو ثور الما اكل ثوره- ينراد له ذبح وصلخ وطبخ-

ما تحجي على ابو (مريس) اللي ما اكل مريسه.. وبينه وبين المريس بس
الستار.. وهو چاتله الجوع ومنتل سلفا سلفاه!).

أجابته خلف مازحاً:

- بخيل وما أكل ثوره!

(ناصر: گول جبان وما أكل مريسه..)
ورمقته حسنه بنظرة ملتهبة وهي تقدم له خبز (الريوك).

* * *

جلس خلف على الراية، التي تفصل هورة البترا عن الديمات، فترأى له غافل أطول مما هو بكثير. إعتزم أن يمازحه بهذه العبارة:

(غافل وروح ابوك كبل اشويه من چنت تفتر بديمتك زمكك السراب وصرت أطول من الطنطل) ثم سأل نفسه وهو يمد البصر ناحية البترا: ولكن كل الاشياء تبدو في مثل هذا الوقت اكبر من حجمها الطبيعي ومن هنا جاء قولهم (الجزيره واويها سبع!) وحتى الاصوات تبدو اليوم اعلى مما هي وتسمع بوضوح أكثر. أرهف السمع بتدقيق فتناهى اليه، من طرف البترا الغربي، مزمار الراعي شجيا ملاً سبيله أخرج الزناد. أشتعل (الوذيح) بضربة واحدة. لا يشتعل الوذيح بهذه السرعة ايام الشتاء. ولهذا تجلب انتباهه (الصلبوخ) الذي اهداه له سعدون تخيله يقول: (هاه! شفت الصلبوخ الاطيتك اياه.. ولا يچاچي من صدكك).

نفخ الدخان مثلثذا- فتحرك ببطء- ليس ثمة هواء يبده. تابع حزمة الدخان بنظره وهي في طريقها الى ديمته. حاور نفسه ما أوسعها، ولكن ما أقل المحروث منها كانه- على حد تعبير حسين (شامه بوجه مزينة) ما كنت اتوقع سخاء السماء بمثل هذا المطر- او كما يقول حسين.. غريبة افكاره بعض الشيء، لكنه حكيم ما في ذلك شك.

خلع عباة تمدد فوقها وسرح بصره حتى ذاب في خضرة زرع الديمة. سأل نفسه: ألا تبدو اكثر انخفاضاً من هورة البترا؟ لو قدر لجدول البترا

ان يخرق هذه الرابية لامكن إرواؤها سيحا لكن المسألة تتطلب عملا والصعوبة تكمن في الحصول على المال. رفق السماء بصعوبة، ودعا بخشوع: وانت القادر على كل شيء.. هل يصعب عليك تحقيق امنيتي؟ حوادث لاتعد ولا تحصى. ضرب الحطاب فأسه فأرتد وظهرت حافة (الكوز) الملىء بالذهب فأذا هو مربوط بسلسلة.. وما هو أقرب من ذلك ورواه لي بنفسه. تبعت الغنم صبيحة يوم ممطر ورأيت شيئا يلعب اخذت منه القليل ورجعت فوجدت الكنز قد اختفى.. ياله من أثول. أثول غنم. لم يملأ عباةته. املاً عباةتي. واذا كانت الكنوز تقتنر دائما بوجود الثعبان الضخم للحراسة- ياربى إكفني شره اكمل عطاءك. وسوف اخفي كومة الذهب. أطوي بيتي على عجل وأرحل. أبني البيت فوق الكنز ويتسألون (اشعنده خلف؟ كول ابو حمزه اشسامع؟ اكو واحد معتدي عليك.. إسمعك حجاه موزينه؟ بساع.. بساع اتشيل. لاخبر لاعلم؟ وأجيبهم: (زهكت من الجريه وخيسة الدمن اريد أشم هوا) ويرد حسين ساخرا: (اشدعوه اشدعوه يا خلف هاي من اشوكت صرت نازوكي شایل بنص الشتا حتى اتشم هوا بلابوش دنيا على كولتك!).

وينتصب بيتي (ابو سبع طرايح) وعلى بابه ثلاث من اصائل الخيل: (نجيمه ووزنه وعيبا). ولاتنقطع القوافل بين بيتي وبين المدينة (أذبح وأصلخ) ولحم وطبيخ وتمر ودبس (واي واي حلو بخلو) وإن هي إلا أسابيع حتى يلتف حولي الناس ويتكاثرون تكاثر الذباب على الدبس. واعلن رغبتى في تمديد جدول البترا من يرفض بعد هذا اللحم والطبيخ؟ وتتكاثر البيوت.. أولها بيت حسين. بعد أن أهمس له: سأجعلك ياحسين في

حيرة من أمر الليرات، لا تعرف كيف تنفقها ولكن ألا يعني هذا تجاوزا على حقوق ابن مهلهل، بأعتباره شيخ العشيرة؟ أبدا أما شيخة ابن مهلهل فلا انازعه عليها ابدا ابدا كل ما في الامر استمتع بغناي ولا لماذا يعتز الناس بثرواتهم؟ وسوف أجزل العطاء لسعدون ولتكتمل حياتي الجديدة بأمرأة شابة. ولكن ماذا عن ام حمزه؟ وهل في ذلك بأس؟ أثمة غني في الدنيا يكتفي بأمرأة واحدة؟

وبعد هذا الثراء والجاه من يرفض لي طلبا اذا تقدمت لخطبة ابنته - الذهب مفاتيح سحرية. بلابوش ذهب! حتى سعدون بن مهلهل لو اقدمت على خطبة ابنته حسنة لا لا هذا لا يصح. كنت ولازلت اعاملها وكأنها ابنتي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الأجدى ان اخطب صالحه بنت احميد ابو البينه. فأجاه صوت غافل.

- ما بيها حظا جاهيه شنهى مضمومة

للحظة خيل اليه ان غافلا يذم (صالحه)، ثم صحا من حلم اليقظة، فأدرك ان صاحبه يذم الديمة

* * *

بكر خلف بمفرده في اليوم الثاني. اتخذ من الرابية المشرفة على ديمته مجلسا وتابع حلم الامس. رفة عظيمة للعروس يفرد لها بيتا بداخله (خوفه) كالتى يصفها حسين في بيوت آل السعدون. ويرقص حتى حسين وسعدون نفسه ويرددون (بعرس خلف ما نرگص!) وافرض على جوده ان لا يسرح بشيدهاه. اودعهن مع احد رعاة اغنامي.

نهض من مجلسه. قام بتخطيط موضعي لاماكن البيوت وتذكر فجأة:

البنادق.. لقد نسيت البنادق. اشترى.. كم بندقية اشترى؟ خمسين بندقية.. تعلم الرماية يا حمزة (ولك ما سماع تفكك من برا وفشك من برا واللي ما يرمي..). واسأل حسين: هل بقيت لك امنية تريد تحقيقها؟ اما انت يا غافل فينطبق عليك الماثور (نذكرك بيسييه) ومطامحك في حدود (ستر العوره وترس الفوره)

وخصص اليوم الثالث لتحديد مجرى (كرمة خلف) كان النهار مشمسا خلع (زبونته) وراح يجمع الطابوق وكسر الفخار التي كشفتها السيول. شيد علامة على قمة التل. ثم وضع علامات صغيرة الى الشرق منها، حتى الطرف الغربي من ديمته. وقال لنفسه وهو يرتقى قمة التل! هنا عند هذا المكان ينبغي ان يكون عرض (الكرمه) ثلاثة اضعاف عرضها في الاراضي المنبسطة والصعوبة هنا عند هذا المرتفع. ثم سأل نفسه بسخرية: عن اي صعوبة تتحدث يارجل؟ لاصعوبة مع اللحم والطبيخ لا صعوبة مع الذهب- بلابوش ذهب! عاد الى العلامة الكبيرة، أضاف اليها بضعة احجار، فبدت شكلا هندسيا يلفت النظر.

وصار خلف يسترسل في احلامه، وهو بين اصدقائه، في ربعة سعدون، يؤثر الصمت على الكلام، فخيّل للكثيرين انه قلق بسبب غياب سعدون الذي طال اكثر مما قدر له، حتى غدا حديث القرية كلها لم ينج من ذلك القلق الا حسنة بنت سعدون وناصر بن حسين، اللذان فتح لهما غيابها الطويل، ابوابا الى الحب لم يحلما بها من قبل. وعبر (احميد ابو البينه) عن قلقه لطول غياب سعدون، وهو يهمس لزوجته ذات ليلة:

تدريين.. اكلاشي تگطع. وچاد تگطع. اهل بغداد كل مشيهم على

صخر. والصخر ياكل كاعية الكلاش بساع بساع!

*

*

الفصل السابع

كان يوما دافئا. يذكر بأذار، تراءت شمسك اكبر مما هي، واقرب الى الارض من اي يوم آخر، والجو يعبق برائحة العشب الذي نبت في كل مكان حول القرية وبين البيوت. أرخيت حبال الربعة وانتصب عمود الكوسر، فدخل ضوء الشمس جميع زوايا ربعة سعدون. لم يعد للشكوى موضع في احاديث الفلاحين والرعاة، فالزراع لايعوزه الماء، ونموه السريع يلفت النظر ويبعث المسرة في القلوب. والعشب في متناول كل ضرر.

غادر خلف الربعة للمرة الثالثة: لاشيء يثير القلق سوى غياب سعدون بن مهلهل، الذي طال اكثر مما ينبغي، والحكومة مثل أذار لايركن الى صحوه ولا دوام لأمطاره. ومن يدري، فربما دبرت مكيدة لابن مهلهل- وجرائم الانكليز في الفرات لما تزل ندية في اذهان الناس حتى هنا عند أهل دجلة.

تداول خلف على اطراف قدميه، واضعا كفه فوق حاجبيه، ليتقي اشعة الشمس. ضيق عينيه لاقصى حد ورفع صوته بالسؤال:

- يا جماعة مدري عيوني اتسورب، مدري اشوف خياله؟

هرع الحاضرون، عدا حسين، وانضموا اليه يتطلعون. بدأوا يخمنون.. انهم ثلاثة.. قال احدهم ان الفرس الثالث بدون خيال.. قطع عبيد بن غافل الشك باليقين، حين أعلن:

- سعدون راجب حصان ووياء واحد، والحصان الثالث محمل أغراض. أحس الخيبة ناصر بن حسين: كان عليه ان يتأخر الليله (ياسته سوية الستين) ما اروع الطريقة التي ابتكرناها اخيرا وتمددنا على الفراش سوية، كل منا يتوسد ذراع حبيبه.

استقبل سعدون بفرحة، تحولت بعد قليل الى دهشة: حاجيات لاتعد ولا تحصى... موزعة على ظهور (الكدش) تركزت الأنظار شيئا فشيئا على ملابس سعدون اللماعة. عجب (احميد ابو البينه) حين رأى سعدونا ينتعل شيئا أسود، يلمع تحت ضوء الشمس، فحاور نفسه متشائما: لقد صدق حدسي.. وأكل صخر بغداد كلاشي.. وسوف يضيف وعدا الى سابق وعوده بالتعويض عن الكلاش (قَيِّدْ يا اسعيد.. وان جان ما عندك سند اقبط حسابك من دبش).

تعانق سعدون مع الكبار.. وقبل الاطفال المحومين حوله، ثم تناول كيسا من الورق وراح يوزع على الاطفال (اصابع الملبَّس). فناداه خلف من وسط الربيعة: (حصتي من الملبَّس.. لا تنسى حصتي من الملبَّس) لكن دعابته ضاعت وسط ضجيج الاطفال وصياح (المجاري) الذي كان يتعجل انزال الحاجيات والعودة الى المدينة.

كرر سعدون الوصية على الشباب ان ينزلوا الحاجيات برفق، ويحملونها بعناية، فبينها ما هو قابل للكسر.. وكان زبونه (البَّته) محط أنظار الجميع، وهو يتموج تحت اشعة الشمس مثل طوق الحمام.. شرع سعدون بخلع حذائه قبل الجلوس، فلم يكن ذلك سهلا، صار يراوح بين رجليه.. مرة كاد أن يسقط وهو يقف على رجل واحدة، ويرفع الاخرى لحل ازرار الحذاء.. فصاح خلف مستغريا

- شنهي الطرگاعه!! امخيط على رجلك؟

ثم تساءل وهو يشير بأصبعه الى الحذاء:

- هو هذا شنهو؟

اجابه غافل لما تأخر جواب سعدون:

- مثل مالات الجندرمه.. لكن على غير جنس..

قال سعدون بعد نزع الحذاء:

- هذا بوتين.

- توتين؟

- بوتين؟

- ب و ت ي ن.. بلابوش بوتين..

كان (احميد ابو البينه) أعلاهم صوتا وهم يرددون الاسم، اجابه سعدون
وكأنه قرأ افكاره:

- ابشرك يا احميد.. كلاشك على حطة ايدك.. بس وصلت بغداد

اشتريت هذا البوتين.. الله يبلى صلال..

ابتسم ابو البينه.. ودارى فرحته بالقول:

- فدوه الك الكلاش.. چاقابل ينعر عليك؟

غرقت عيون خلف في لجة زيون سعدون واللوانه الزاهية، التي بدت في

الظل اجمل وازهى مما هي تحت الشمس. ففكر متفائلا:

- من المؤكد ان الزبون الذي طلبته مثل هذا.. فلا يعقل ان يشتري

لنفسه من صنف ويشتري لي من صنف آخر.. (إخذ فالها من اطفالها) من

المؤكد ان المبلغ كبير.. حتى صار يشتري هذا القماش الفاخر وهذا الحذاء

العجيب.. وحمولة الخيل التي لا يعلمها الا الله.. أتراه عثر على كنز مثل

كنزني الذي أحلم به؟ شغل حسين لبعض الوقت بمراجعة العبارة التي

قالها سعدون (الله يبلى صلال) وكانت لهجته توحى بالأعجاب ولا تنم

عن الانكار وساعل نفسه:

ترى هل أخی بينهم الانكليزي وراحت دماء العشيرة هدرا هل نسي
مقتل صكر؟

اخرج سعدون حزمة اصابع ورقية، كان يخفيها بين ثوبه وزبونه، وراح
يفرق محتوياتها على الحاضرين.. ثم وضع اصبعاً بين شفتيه.. فحاكاه
خلف.. وقضم الاصبع بأسنانه ليتبين طعمه فنهزه سعدون ضاحكاً:

- لا خلف.. لا لاتاكلها- هاي غليون!

تفحص الجالسون ما بأيديهم. أخرج سعدون من جيبه قطعة معدنية
لماعة، يتدلى منها خيط اصفر. ضرب القطعة المعدنية بكفه، فتطاير منها
شرر صاح معظمهم:

- يا ستار!

وتصاعد الدخان من رأس الخيط، فوضع طرف الاصبع الابيض، الذي
اسماه غليوناً، فوق رأس الخيط سحب نفساً، مثلما يفعل بالسبيل. ثم رفع
رأسه ونفخ الدخان بوجه خلف معابثا

استعصى عليهم اشعال (الاصبع) من نتفة الوديع.. ولكن حسين اهتدى
اخيراً فرمى نتفة الوديع على الارض وانحنى فوقها يشعل (المدعو غليوناً).
اكتشف اكثرهم خطأه في طريقة اشعاله، اذ وضع (الزبانة) على النار..

وتلقفوا الاسم من سعدون:

- جگاره..

- جوگاره..

- جگاره.. بلبوش دنيا!

كرر سعدون اسمها (جگاره) فحرك حسين رأسه. تذكر بيتا من الشعر
قيل عن السيد گاطع:

(يسد بأروافها ويشرب جگاره!)

جاهر به حسين فردده الحاضرون، مما سهل عليهم استظهار الاسم.
اجاب سعدون على تساؤلاتهم عن الزناد الجديد:

- هيچ ينجدح وتورث الفتيله.. ويطفي بس تجر الفتيله.. هيچ.. وبنص
الزناد حجره من كبر حباية الحنطه.. هاي بدال الصلبوخ اللي (چنا) نورث
بيه..

طوى الفتيلة، ودس الزناد في جيب زبونه، ثم غادر الربعة حافيا، تاركا
على الوجوه اكثر من علامة استفهام. رجع يحمل صرة تحوي مسابح
حسينية. قال وهو يفرقها على الحاضرين:

- سويتها على گولة ابو المثل هيه تجاره وهيه زياره.. رحت لكربلا..
زرت واندعيت الكم.

قبل كل منهم مسبحته ووضعها على جبينه تبركا بـ (طين) ارض
الحسين.

حركها حسين فوق كفه وانشد: تنشدني العريان هالبويمه امنين.

جابهوا الى الزوار صوغه من الحسين.

وأمر سعدون ولده ان يستدعي بنات القرية على عجل لهبش التمن.. ثم
التفت الى احميد ابو البينة وناولته عشر ربيات (على الحساب) ليحضر
ذبيحة جيدة لعشاء الليلة.

استبد بهم الفضول لمعرفة نتائج السفرة المثيرة- كانوا يتوقعون السؤال

من حسين.. في كل لحظة يتوقف فيها سعدون عن استفساراته حول
الزرع.

حين غربت الشمس، غادر الربعة سعدون، مكث في بيت العائلة بضع
دقائق، ثم عاد يحمل نارا مشتعلة، داخل وعاء لماع تحيطه زجاجة
مستديرة، حولها انبويان، وفوقها غطاء مثقوب من جوانبه. وقد امسك وعاء
النار من حباله معدنية.

- ؟

- ؟

- فانوس

- فنوص؟

- فانوس

- فانوص- بلبوش دنيا!

- عفيه حكومه

- هجم بيت الانگريزي.

- ايباه!! اشلون شغل..

- لا يا مناعيل يا هالحكومة..

وعاجله خلف بالسؤال:

- سعدون. چنها سفرتك زينه؟!

- ابشرك زينه.. زينه كلش!

ثم أجال سعدون النظر في الديوان حتى استقر على غافل، فزم شفتيه..
ورفع حاجبه وقال:

- لكن صارت موش على رايك..

وحول نظره صوب حسين.. ثم رمق خلفا وكان يريد بذلك تذكيرهم
بالاقتراح الذي طرح عشية سفره بأن تكون اكرامية الحاكم الانكليزي
مكرسة لتجديد البيت، بدلا من توزيعها على ابناء العشيرة. وادرك اخيرا
ان اصحابه قد نسوا تفاصيل ما دار تلك الليلة- او هكذا خيل اليه-
فكشف طرفا من اسرار السفارة موضحا ان الحاكم اقترح عليّ شراء
مضخة واشترط صرف الاكرامية لهذا الغرض...

توجه الحاضرون بأذهانهم الى صورة المضخة التي قال عنها سعدون.

- تمص الماي من الشط وتبزه بالنهر..

تطوع غافل ليخفف من حدة الاندهاش الذي سيطر على الحاضرين
وقال:

- شفناها- ذبح السنه من رحنا لكريلا.. حصان امعصين عيونه ويفتر

على بير بيه دولاب والدولاب بيه مواعين.... فقاطعه سعدون بأستخفاف: -

خايب انتة اتغني بالكوز! هذا التگول عليه ناعور.. ثم مضى شارحا:

- المضخة تعمل بنفسها ولنفسها دون حصان ولا بغل.. كلها حديد..

لها موقد في بطنها يصب فيه النفط، من خزان فيحترق النفط.. وتدور

دواليب المكينه من تلقاء نفسها فتمتص الماء من الشط وتقذفه في

الساقية.. وتظل تعمل طيلة ايام السنة بلا توقف.

ضحك خلف وقال بجرس تهكمي:

- وصدگت بها لحجي؟ واجيت اتسولفه!

رده سعدون بنفس قصير:

بعد اللي شفته بعيني.. ما اچذب شي.. شفت عجبه.. ازود من
المكينه

ثم روى قصة ركوبه الزورق البخاري من الكوت الى بغداد:
ايدرونها انكريزي، لا بس كبوس.. ايسمونها فليكه..

- ؟!

فليكه.

فليكه. بلابوش دنيا!

فلک يفلکهم انشاء الله

- يالله دخيلک من الفليکه

تحركت الفليکه چک چک بغير شراع ولا ملاح.. وملاجه الماي
ملاکاه وچان اتشک الشط نصين. حسابک شبوط بساجيه زغيره.. وهذا
ابو كبوس لازم له حديدہ جنھا مطوى ووين ما يريد يوجهھا ولو رادھا
توكف ايدک جرس رن رن ن. يسمعه الدريول الآخر الجاعد تحت.. يعرف
يلن الغبطان يريد الفليکه توكف.. ايطک الها الصروع!. قاطعه خلف
متسائلا:

- ابو كبوس اسمہ غبطان؟

- لا شغلته غبطان

- غبطان؟ عيش وشوف بلابوش دنيا!

وانشد حسين: (طياره طارت فوگک بيھا انكريزي..) ثم التفت الى خلف
وقال:

- الیسمع بالطياره ما يتعجب بالفليکه. بعد لا تجذب شي.. کلشي

ايصير ما دام ابن ادم تعلم على شغل الحديد وكام يملّجه مثل الطين..
كلشي ايسوي..

قطع حديثهم حضور العشاء الدسم.. وبعد تناوله.. مسح غالبية
الحاضرين اكفهم بثيابهم وعيهم.. دون ان يتكفوا غسلها بالماء، وعادوا
الى اماكنهم بشهية مفتحة لسماع احاديث سعدون ورواياته العجيبة
الغريبة

حاصروه بأسئلة لا نهاية لها فضل ان لا يجيب الليلة على كل الاسئلة..
فبعضها يحتاج بدايات لبقة وحسن تخلص، مثل السؤال عن مقدار
الكرامية التي منحها له الحاكم الانكليزي.. وما يترتب على نصب المضخة
من تغييرات للواقع الراهن في القرية. وهو الليلة في عجلة للاقاء زوجته بعد
طول غياب بيد ان اسئلتهم كانت من الكثافة بحيث لا يمكن اختراقها
بسهولة، الا بعد فتح ثغرة. قدر ان لا مناص من اشباع بعض فضولهم،
فأوجز قصة سفره على النحو التالي:

وصلنا بغداد وبعد ثلاثة ايام استدعينا للسراي.. ادخلونا على شخص
سمين (يتفصل خمس ازالام مثل خلف!) وجدنا هناك بعض شيوخ (الغربية)
يلبسون (الغتر) وبعض شيوخ الاكراد (مجرعدين) وكل واحد منهم يلف
على بطنه قماشاً ملونا يكفي لتوبين او ثلاثة. وبعد انتظار قال الرجل
السمين: تعالوا غدا ولم يتيسر لنا لقاءه في الغد وما بعده.. وفي اليوم
الرابع وفقنا لمقابلة الـ (مشير.. المستشير..) نسيت اسمه لكنه، على كل
حال، لا يسمى الحاكم.

ثم التفت سعدون ضاحكا ناحية حسين واكمل حديثه: كنت أغالب

الضحك، رغم حراجة الموقف ورهبة اللقاء.. حين بدأ المشير يتكلم والسمين
يترجم.. تذكرت خطبتك، يوم تقمصت شخصية الانكليزي.. فقد اعاد الكثير
مما قلته.

واستدرك بلهجة حنونة، يذكر صلالا بالخير: من الانصاف ان اعترف
بذكائه وسرعة بديهته.. انه داهية يصلح لمواجهة الحكام.. وانه يهتدي الى
كل مكان في بغداد.. الجايشانه.. اللوقنطة.. والمسافر خانه..
واضاف خلف بلهجة ساخرة:

- والتياترو..!

وبادر حسين على الفور بلهجة حاقدة:

- والمنزول..!

فأستاء سعدون من تلك الملاحظات، وأنبرى يدفع بحماس كل التهم عن
صلال: اعترف انني كنت على خطأ في تكوين الصورة عن الرجل.. لقد
استوثقت من صحة المأثور (الرجال مخابر ما هي مناظر) وان من يسبر
غور صلال يوقن ان هذا الانسان شهم وغيور.

فحرق خلف بوجه حسين مندهشا من هذا التحول المفاجئ في علاقات
سعدون مع صلال. ولما ينس من مبادرة حسين قال بنبرة حادة:

- صلال مثل ذيل الجلب.. اعوج ما يستعدل طول عمره!

انتفض سعدون انتصارا لصديقه وكرر المثل (الرجال مخابر ما هي
مناظر) واكتفى حسين بترديد هوسه:

بس لا يصفر لك وترومه!

فتوتر الجو، وتأكد الحاضرون بأن هذا الجدل قد حول الحديث عن

الوجهة التي ارادوها له، وهي أن يبلغ نقطة الكشف عن مقدار اكرامية المشير.. وما معنى نصب المضخة..؟

وراح بعضهم يطلق لخياله العنان، فيتصور مقدار المبلغ:
* اذا كانت بعض اطرافه هذا الفانوس وزيون البتة والزناد والبوتين
وجمولة ثلاثة كدش....

تظاهر سعدون بالتعب والنعاس، فأنقض الحاضرون من حوله، عدا
حسين وخلف وغافل. تركهم بضع دقائق، ورجع يحمل هداياهم:
لكل واحد (عرقچين) ملونه. امسك حسين هديته وراح يداعبها فوق كفه
منغما:

- فدوه عيني ام عرقچين..

تكلف سعدون ضحكة وقال:

- لو ما حسبة المكيه چا اشتريت الكم صوغات زينه.

اجاب غافل:

- جيتك اكبر صوغه!

تجاهل حسين قوله، وانشغل خلف بتقليب الزناد الجديد، فألتفت سعدون
ناحيته وقال بأريحية:

- خلف اخذه.

استكبر خلف شأن الزناد وفكر:

انه ثمين ولا شك.... وابن مهلهل اولى به.. فهو شيخ العشيرة ووجهها
الظاهر امام الحكومة وشيوخ العشائر الاخرى.
ثم رفع صوته:

- لا لا ما اخذ زنادك.

تناوله سعدون ورماه في حجر خلف وقال بحزم:

- وروح مهلهل لازم تاخذه. أنه جبت اثنين حتى اطيك واحد منهم.

امسكه خلف بفرحة ظاهرة. وحاور نفسه: غدا اجلس في الديوان متميزا عن الآخرين بشيء لم تعرفه المنطقة كلها انك ذهب تيزاب يا سعدون لن تصدأ ولن تسوء. وغمغم بعبارات شكر غير مفهومة، اذ وجد نفسه عاجزا عن التعبير

ضحك حسين وقال.

- بس انت مرصعت!

وقال غافل.

- توداة الانگريزي طلعت من بختك.

شاع في البيت عرف بخور يرطب الانفاس. فأمثلأت الربعة بأريجه..

وفغم انوف الحاضرين بتحد قال سعدون بصوت واهن:

- اليوم تعبت كلش، من رجب الكدش.. سارع غافل يؤيد:

- صدك رجة الكدش موش راحه.. وقال خلف ضاحكا:

- الكدش يتعب. بلايوش كدش!

واكتفى حسين بالقول وهو يلف كوفيته حول رقبته ويهم بالنهوض

- صار معلوم. لا اتذب الخرج بالعجد!!

* * *

استنتج اهل القرية ان ضيفا كبيرا قد حل في بيت ابن مهلهل، مستدلين

بأيقاع الهاون على نحو معلوم لا يجيده غير سعدون، عودهم ان يدق

القهوة بنفسه ويوقع انعاما على الهاون في حالتين: فجر يوم العيد ، ووجود ضيف عزيز له مكانته الخاصة. ولما تقاطروا على الربعة استكبروا ان يحظى صلال بمثل هذه العناية من رئيسهم ابن مهلهل: فحتى الامس القريب كانا يتشاثمان جهارا، وبين عشيرتيهما ود مفقود، وثارات لم تمح اثارها (الفصول).

ولما أغرق سعدون في الضحك لنكتة رواها صلال، أعاد حسين هوسة كان يغمغم بها في مستهل الجلسة:

- سم لا يتلبس بأبدانك!

وهمس خلف بأذن حسين:

- صاحبنا من اهل الله، وهذاك شيطان يضحك عليه!

شرع صلال يعدد فوائد التعجيل بنصب المضخة، واهمها الاستفادة من زراعة المخضرات.

فقال خلف بصوت خفيض:

- صار الحجى اتخروت! ايريدنا نزرع فجل وشلغم.

اجابه حسين همسا

- حتى لو متت اتكول عليك الشاعرة: (يزراع الفجل والشلغم ابراگه - عليك الطم واسوى الكاع رگراگه).

استدرك صلال موضحا: ثمة فلاحون يمتهنون زراعة المخضرات سوف يرحبون بدعوتكم، لان الارض الواقعة بين هورة البترا ونهر الغراف بكر لم يعبث بها المحراث منذ زمن نجهله، والى هذا فالمضخة وحدها ضمان اكيد لنجاح المخضرات.

أسر (احميد ابو البيئه) بأذن جاره، بعد الغداء الدسم:

- اشقبضنا من عداوتهم، غير الطلايب وشلعة الكلب.

لواه على صداكتهم، كركدنا وراها اشچم عظم!

وعاود صلال حديثه، بعد الغداء مباشرة،

فأقترح على سعدون العجلة في الرحيل الى الدار الجديدة. كان سعدون

ينوي البقاء في هذه الدار حتى الخريف. بيد ان فكرة الرحيل العاجل راقته

له بغتة وقال لصديقه:

- شورك والهدا إنشيل انشيل!

امسك صلال سلسلة الساعة الفضية. سحبها من جيبه ايدانا بأختتام

الزيارة. فتح غطاء الساعة. حذق في عقاربها بخيلاء. سمعوا قبلا عن

ساعة صلال، ولكن ليس الخبر كالعيان. سألّه سعدون:

- صلال. عرفت الها ابساع ابساع ؟

اجاب بمباهاة:

- اهم.. جا يعني نمونه!

- لو اعرف الها چا اشتريت وحدة..

دنا منه صلال وراح يشير بأصبعه:

- هذا الزغير ابو الساعات وهذا ابو الدغايف هذا لو صار اهناء وهذا

اهناه معنا بالثمانية، يعني الساعة ثمانية.

واصل شرحه دون ملل. استبدت الرغبة بسعدون لتعلم قراءتها،

اصغى للمرة الثالثة، ثم اعلن:

- صلال. يمكن معرفتها القروح عليه صديقه ان يحتفظ بالساعة عنده
لبضعة ايام، رالت لسعدون الفكرة وتناول الساعة شاكرا، ثم استمع لآخر
درس عن كيفية ملئها وتقديرها او تلخيرها بالمفتاح.

• • •

لحظة غادرهم صلال، انبرى سعدون يمتدحه ، دون مناسبة، ويهناه لا
تفارقان عقارب الساعة فكره حسين هوسه
- بس لا يصفر لك وترومه!

ضحك خلف، حتى جلب انتباه سعدون، فدارى الموقف بزعمه، ذكرني
الساعة بحكاية شيخ اخيل الذي يؤنس للطور في قرية ال طرفه، ذات يوم
غامم أنن الشيخ اخيل، وتناول الصائمون فطورهم، وبعد ربع ساعة، او
تزيد بانث الشمس من وراء السحب وبينها وبين المغيب بضع دقائق فهرع
الشيخ اخيل مذعورا الى المكان الذي يرتقيه عادة للأذان ورفع صوته
عاليا، حتى يبلغ اطراف القرية، بقصد ابراء نعمة، وردد بلهجة:
- ولكم اجذب. اجذب، لحد يفطر على اوداني.. واللي افطر خطيته
بركبتة!

واستدرك خلف مؤكدا: ان ما حدث لشيخ اخيل قد يتكرر في كل مكان
دون وجود الساعة. ولهذا فهي نافعة في شهر رمضان خصوصا
اسر حسين لخلفه في اليوم التالي: اذا كانت المضخة من الانكليزي
مدية خاصة بسعدون، فلقاء اي شيء يروي أرضنا؟ واختتم السؤال
بالقول:

- كلبى لا سبني من هالمعوييات!

اجابه خلف: ان المضخة تنصب للارض البور التي لم نزرعها منذ
عشرات السنين، وهذا امر لا يعنيننا ولا يؤثر في واقعنا الراهن ضمن
حدود هورة البترا فحرك حسين رأسه وقال.

- انتة مثل السمج.. بغير كلب. ولك هاي شغلة ذاك من كالهها بس
اطريفه!

* * *

اختلفت تساؤلات ابناء العشيرة عن نصب المضخة، وما يترتب عليه مع
انكارهم للصدقة المفاجئة بين رئيسهم ابن مهلهل وبين صلال الخبيث.
وكان اعلان سعدون، في ديوان العصر عن ان صلالا هو الذي اختار
(فيصل) اسما للولد الجديد، بداية لشجار حاد، سببه شتم الحاضرين
لصلال وعلى نحو لم يألّفوه، اشتعل سعدون غضبا واعتبر كل تعريض
بصلال إهانة موجهة له شخصيا

* * *

وقف خلف على الرابية جنب العلامة التي صنعها لتشير الى مجرى
النهر المقترح: أمدد الجدول. اشق فرعا يروى بزايض اراضى الخبيث صلال
للسيطرة عليها، واذا ما تفوه بكلمة أمرغ وجهه بالتراب. البنادق في كل
يد. يعرف وقفاتنا المشهودة. اشارة واحدة ينقض عليه ابناء العشيرة وان
تدخل سعدون (اسكت سعدون هذا موش شغلك) احذره من صداقة هذا
الخبيث. أمره بحزم. ابتعد عن هذا الحقير. قولوا لصلال اذا جاء ثانية الى
بيت مهلهل الويل له. امنعه حتى من المشي فوق تراب ارض العشيرة ما
اروعها ويالها من حكمة:

ابو انخيله اعلى المتن منثور ثوره

انوجل العايل لحم من ثوره والطلاب ايدامها التوثيه

رفع صوته، هن ساعده: الطلاب ايدامها التوثيه.. بلبوش.. بلبوش
توثيه. الم يخطر لك يوماً يا حسين مثل هذا الحلم! لا اظن، لابد ان الشعر
يستولى عليه كلية. وفي منامه يحلم بالشعر. ولو لم يكن الامر كذلك كيف
يتسنى له استظهار هذا الشعر؟ أعجبته العلامة، بعد ان وضع عليها
حجارة كبيرة، غدت شكلا هندسياً بديعاً نضحت ابتسامة من شفثيه، حين
تخيل حسين يراقبه ويقرأ ما يدور في خلده، تذكر فجأة سبب مجيئه،
اوشك الوقت المناسب على الضياع. جئت لارى زرع الديمة انه لا يحتمل
يوم الاربعاء القادم. عاد الى بيته مسرعاً اشار على زوجته بمصاحبتها
موضحاً: اليوم هو الاربعاء ألم تسمعي (يمحمد ربه وسمينا) غالبية
الفلاحين باشروا الحصاد اليوم. اكتفى بعضهم بجز شتلات معدودات
ليكون في حل من امر الحصاد في اي يوم شاء. ومن تأخر اليوم تحتم
عليه الانتظار الى يوم الاربعاء القادم. حمل كل منهما منجله، تبعهما حمزة
بلا دعوة. كانت تبسمل وتصلي طيلة الدرب الذي يخترق هورة البترا:

- اللهم صلي على محمد وآلي محمد. عين الحاسود بيها عود.. طول
عمري ما شفت هيج زرع نبت بالبترا

وكان حمزة يقاطعها معابثاً: اللهم صل.. اللهم صل.. لاحت لحمزه تلك
العلامة التي صنعها ابوه فوق الرابية. تراءت وسط لجة السراب كأنها قبة.
اشار ناحيتها وسأل:

- بويه.. بويه هذاك شنهو؟

- هذاك سراب

- لا موش على السراب أنشدك. على هذاك چنة گبة ايمام؟

- هذاك؟! هذاك.. ايه مگام سيد سراب!! فضني.

وعاد خلف يشتبك مع زوجته في شجار نشب بسبب اصرارها على ان

تأخذ اليوم (عباه) من زرع الديمة مقررة:

- ما يصلح على اهل البيت ياكلون طعام حايل لو بدوا بحصاد

الجديد.. مدراه مدراه.. انت ما تعرف المدراه؟

- هذا بيا كتاب قرينته ثواب للمرحوم والشافته عيني؟!

- عيب لايسمك الفرخ!

* * *

كان الحصاد محور ضجيج الفلاحين، وهم يشربون قهوة العصر

- اليوم حصدت..

- زرعي بعده. اليوم سميت حصدت لي جديس..

- زرعاتي يتحملن يومين ثلاثة يا هو اليريدني عوان، كرضه يوم بيوم.

- انه اكرض يومين بيوم!

فاجأهم سعدون بالحديث عن المضخة، بلا مقدمات، عدد فوائدها،

اهميتها، ضرورة الاسراع بنصبها وانعطف بالحديث بغتة يطلب مساعدة

ابناء العشيرة: تسأل بعضهم عن الكيفية التي تمكنهم من المساهمة في

تكاليفها، وقد استثار نخوتهم؟ فاجز المسألة بعبارة واحدة: ان تحفظوا

الزرع من العبث. تمتنعون هذا الموسم عن اخراج الدوسات (والمعين). بدا

طلبه غريباً، بعض الشيء، ومع ذلك، تطوع احدهم ثم تبعه آخرون:
- غالي وطلب ارضيخ.

* * *

شوهد فالح بن سعدون، في اليوم التالي، يتجول في البترا، لمنع الارامل والايتام من جمع السنبل المتساقط وما اخطأه المنجل. وتجراً في اليوم التالي، فاستوقف ارملة، ونفض عبايتها ليتبعثر السنبل القليل الذي جمعته بجهد مضمّن.

عقب حسين لدى سماعه الخبر:

- معلوم! معلوم! هاي دروس الخبيث صلال (اليوم اهون باجر ضوگه)

* * *

كانت خطوة سعدون التالية، احراج اهل الديمات، في ديوان العصر، ليجعلوا له حصّة، وما كانت له من قبل علاقة بزرع الديم، قال وكلامه موجه لخلف.

- السنه اريد اهل الديمات ايساعدوني بالخمس..

سارع غافل يجيب بحمية:

.

- الديمات واهل الديمات جدامك، الواه عدنا زايد وانحطه ابيت مهلهل، ثم تبعه خلف واولاد صگر. وسكت احميد ابو البينه مستشعرا للوقوع بالمصيدة، فليس من السهل انفراد بالرفض وسط هذا الديوان المزدهم.

* * *

فوجئ خلف بقعود زوجته عن الحصاد، كانت حساباته طبقاً لاقوالها، ان الولادة بعد الحصاد، لكنها وضعت طفلها دون سابق انذار. اضطر

لاعطاء حصّة في زرع الديمة. واستأجر ارملة لتكديس ما يحصده في هورة البترا وقال لحسين مداعبا:

- تذكر يوم نشدنا سعدون اشسميت ابنك؟ قال ارجع من بغداد واشوف نتيجة السفره واسميه، هسه عاد ولا حسبتي، لازم اسمي ابني على نتيجة زرعي: أسميه فرهود. ضاع نص زرعي.. تفرهدت حسين يا خوي فرهود، بلابوش دنيا!

تلقفها حسين وصار يرددھا (السنه سنة الفرهود) تعريضا بسعدون الذي فرض حصّة على زرع الديم وحرم على اهل البترا (المعين) واستخراج الدوسات. وكان يتبع القول (السنه سنة الفرهود) بهوسة لا يمل ترديدها: فن غير المنا ايگص بينا!

الفصل الخامس

..سته سبعة ثمانية. اشار الى عبيد بن غافل:

- دكك ثايه اهناء..

خطا بموازاة نهر الغراف، مائة خطوة. اشار ثانية الى عبيد:

- وديكك ثايه اهناء..

قاس المسافة بين العلامة الثانية وبين جرف الغراف:

- اربعة خمسه سته سبعة ثمانية.. مضبوطة، كل ضلع فيه.

لم يبق الا الحبل والاوتاد. المرحلة النهائية لتأشير الاسس، أخرج
ساعته. تملأ في عقاربها قال للبناء:

- ننتذر صلال هسه يجي.

وصل صلال. تطلع من على ظهر فرسه في جميع الاتجاهات. ترجل
لتحية سعدون، وتحدثا طويلا، ومعهما البناء. ويكرر صلال على البناء:

- انريده مثل حجرة المكيه.. يعني اعجبنا شغلك بحجرة المكيه انريد
بنيان الحوش منتاز.

اقترح صلال نقل العلامات الى الجنوب مائة متر تقريبا، تراعت حجرة
المضخة لسعدون بعيدة، أصر صلال على رأيه، كان ميالا لابعاد الحوش
عن المضخة اكثر فأكثر.

باشر الشباب والصبيان وبعض الكهول، من افراد عشيرة سعدون،
عملهم بحماس، لم يخالفوا توجيهات (الاسطة) وملاحظاته عن تخمير الطين
ومزجه جيدا بالتبن، بدأت جدران الحوش والحجرات ترتفع بسرعة. ويوم
عاود صلال زيارته لموقع العمل، حدد النظر، على نحو ما يفعل المعمار، في
كل ضلع من اضلاع الحوش والحجرات. تفحص الطين المعد لعمل الغد، و

(الزهاويل) الجاهزة بين يدي البناء فالتفت الى سعدون يمتدح العمل جملة وتفصيلا: *

- بنيان منتاز. يعني كل الشغل منتاز

سمع عبارة المديح عبيد بن غافل، رواها لزملائه بنبرة تمثيلية، محركا ارنبه انفه، كما يفعل صلال فائار موجة من الضحك، والصخب ترد صداه في شاطئ الغراف: منتاز.. منتاز! واستلطف عبيد تسميتهم له (عبيد المنتاز).

* * *

حلق بيت الشعر فوق اعمدته الطويلة، ونشر جناحي نسر، بدا وكأنه يشغل المكان الخالي بين الحوش والمضخة على سعته. كانت الربعة من قبل تشغل نصفه، فيما تشغل العائلة نصفه الآخر، اما وقد صار مضيئا كله، فأنه يبدو كبيرا جدا ومهيبا لدرجة تبعث الاعتزاز في نفوس أبناء العشيرة، ومدعاة لفخر ومباهاة سعدون.

اصطفت بيوت الفلاحين واكواخهم بمحاذاة نهر الغراف جنوبي الحوش. فوصف احميد ابو البينه قرية سعدون الجديدة بقوله:

- چنها خزلة اصخول واطليات وچدامها خروف ابيض جبير.

وكان يشير بذلك الى حوش الطين الكبير.

اتسعت القرية الى الضعف، حين نزلها (الخضارة) ولم ينتبه احد من قبل الى فراغ الا حين امتلا، فقد نزل القرية سيد محمد ابو شرارة،

ووجود السيد في قرية كهذه يكاد يكون لازماً، فإن لم تطلبه بحث عنها وحل فيها مكرماً، وينزوله صار للقرية ديوان قهوة آخر يرتادونه عصراً، وقد تحولت قهوة مضيف سعدون الى (صبحية).

تتابع الحرفيون لسكنى القرية، وكأن صوت المضخة دعوة مفتوحة للرائح والغادي، نزل حائك وتبعه بقال وبعد ايام جاء ملا محسن واتفق مع سعدون وعدد من اهل القرية على فتح (كتاب) لتعليم اولادهم القراءة. فكان اكبر تلميذ في الكتاب فالح بن سعدون واصغرهم سنا نعمة بن حسين. قال خلف بيرر رفضه لتعليم حمزة

- كون الغرايه اتوچل خبز، ما أشبعت الملا الجبير؟ چنه صراط حيايا وچاتله الجوع، بلابوش ملالي!

* * *

أمر سعدون ابنته ان تنقطع عن زيارة بيت حسين وتكف عن تعلم الحياكة على يد (ام ناصر):

- بت الشيوخ ما عدها وكنت زايد على مضيف اهلها حتى تشتغل حواكه. كل حسبه ما وراها نفع، التعب بيها حرام. وللحطب هم لا اتروحين كلفت الفلاليع يخلون نسوانهم تنگل حطب للحوش.

لم يبق من عمل لحسنه غير نقل الماء وغسل الاواني في نهر الغراف، وكان ذلك بمثابة النافذة الوحيدة التي تطل منها على العالم، ومن خلالها تلمح ناصرا يترصدها على البعد، مكثفياً بأشارة لا تبل ظمأ ولا تشبع من

جوع ويحاور نفسه: عملت كالحمار بلا كلل متعجلا ان يشمخ الحوش
عاليا دونما تفكير بالنتائج وها قد عرفت انني كنت متحمسا لتشبيد سجن
يحول بيني وبينها، أطلّي يا ذكريات بيت الشعر، من اي جهة اردت وصلت
(ما تخاف يوعى ابوي.. توعى امي.. يوعى فالح؟ الليلة هم انسف الستار
واتمدد وياج على الفراش) آه يا بيت الشعر يا جنة بلا خفير. تف على
الطين الحقيق وحوش الطين وعلى من اشار ببناء الطين (ابني ناصر دير
بالك على الخمره ملجو الطين زين. تأمر عمي) حمار بلا تفكير. والآن
اكتشفت ان التفكير ضروري. وامي لا تعرف شيئا (يايمه شو الحسبه
سكته. سكته يا ام حسن سكته. مدري اشوراها) عليها ان تكلمه اليوم.
تستحثه لمفاتحة سعدون. ماهي اسباب تأجيل الزواج. كان مقدرا له قسمة
الحاصلات. هرع الى امه: لا تدخري جهدا اقنعي والدي فليكلم سعدونا
بالامر.

افزعه حديث ابيه الذي اختلسه من وراء الستار واستعاده مع نفسه: لم
يعد ذاك (السعدون) صار شخصا آخر. يتجنب محادثتي بتبسط.. يسخر
من كلام خلف.. يود لو يطمر الماضي تحت التراب ليقطع صلته بالحاضر
الجديد وكأنه انبثق من فراغ.

وتذكر سؤال امه لابيها؟

- اخاف انشغل بالمكينه والبنيان ونسى حسبه الخطبة؟

- كلبى ايلكي هالزله تبدل فرد نوب، وعيوني هم اتكلي.

ومع ذلك استجاب حسين لرجاء زوجته ونظرات التعطف في عينيها،
فوعدها بمفاتحة سعدون حالما تحين الفرصة، ثم استدرك يبدد آمالها

ويطفئ شمعته الحلم على طريق (ناصر)، لكنني على شبه يقين بأن سعدونا
سيرجع في كلامه، ومما يسهل عليه النكوص كون الخطوبة سرا بيننا لا
يعلمها احد غير اهل البيتين.

* * *

مر اسبوع على اشتغال المضخة، وما زالوا مدهوشين بأدواتها
وحركاتها، لا يملون الاصفاء الى صوتها، مستمتعين بمنظر الماء المتدفق
الى الحوض:

- حسبالك كنبار مبروم. بلبوش مكايين!
- اليعيش ايشوف.
- قدره الهيه.
- حيل ابن آدم.
- استخفر الله. اشحده ابن ادم بغير ارادة ربك.
- لا اتصير مثل غافل، كل حجايه ونفض زيجه!
- حسين شتگول، إشکثر يا خزون حصه من الزرع بدال ماي المكيه؟
- تالي الليل تسمع حس العياط!
- فاجأهما ملا محسن. جلس على حافة الحوض، خلع حذاءه وأدلى قدميه
في الماء، كما يفعلان.
- وقال لخلف مداعبا:
- تدري. أنه افتهم حجي المكيه مثل ما افتهم الكتابه على الخط؟!

- اسمع شتگول؟ (جيب افلوس يا ديوس.. جيب افلوس يا ديوس) لكن بالسنة المجبله اتبدل حبيها اتصير دگتها اسرع. وتگول (اخذ افلوس. اخذ افلوس اخذ افلوس).

لم يتركها حسين تمر، دون الاستفادة منها، اغتنم فرصة مطالبة سعدون لحמיד ابو البينه بأن يقترضه مبلغا من المال، لشراء النفط والذهن، فهمس بأنن خلف:

- تبين المكينه اتصايح ابو البينه: جيب افلوس يا ديوس!

* * *

نضج الزرع واقترب موعد حصاده، فأعلن سعدون، في ديوان الصبح، تعيين عبيد المنتاز (شحنه) لمراقبة الفلاحين.

تبادل الحاضرون نظرات انكار لهذا الاعلان الوقح، وفكر حسين: تعرت الشكوك وكشف عدم الثقة عن وجهه البشع. كان كل واحد من ابناء العشيرة رقيب نفسه، حريصا على صيانة خمس بن مهلهل، حرصه على خالص حاله. ثم غادر المضيف مرددا:

- من صار شحنه المنتاز ماظل بالجريه محتازا!

وفي اليوم التالي تناهى خبر اجج غيض خلف، وجعله يصيح بلا تحفظ:

- اطوه الكراع وتناوش الذراع؟ بلابوش طمع دنيا!

ثم قصد حميد ابو البينه، على الفور، يعلمه ان سعدونا عين شحنه على الديميات: ويحرضه بأن جملة امور تترتب على هذا الاجراء، اهمها تثبيت حقوق لسعدون لا اصل لها.

فأدهشه جواب احميد ابو البينه:

- تمام يا ابو حمزه، الخبر صحيح. شنسوي؟ العام اطيناه خمس الوارد، والسنة هم ايريد الخمس، وما ايصير انبطل جدام الوادم، عيب. ثانيه وبعد، صار حيله من حيل الحكومه، شوفة عينك، البليصية راجبة ومحولة بمضيفه. بعد ما نكدر نتلاوى وياه!

تذكر خلف قطعة الارض التي سقيت بماء المضخة وخصصت (سفحه) لشياه ابو البينه فحاور ابو البينه في سره: صار خوش آدمي ويعرف المستحي؟ هلبت استحييت من شردت بالعركه؟ لكن هذا حجي سفحه ياديوس. اعرفك اشلون ديوس.

نفذ عباة وقام مغضبا، ثم ردد بصوت عال وهو يغادر بيت ابو البينه:

- بلابوش سفحه!

وحين قصد غافلا لنفس الغرض وكلمه بالامر

رد عليه ببرود مثير للاعصاب:

- حالي من حالكم يا خلف تطون اطي، ما تطون اسكت!

ولم يعضده في مسعاه سوى اولاد صغر، الذين صحبوه الى بيت حسين، يأخذون مشورته ويهتدون برأيه وكانت اجابة حسين:

قضيتكم في غاية الوضوح ولستم بحاجة الى من يلقنكم عبارات مطولة رنانة، كل ما في الامر قولوا: لا نعطي خبز اطفالنا الجياع لمن يريد مبادلته بغموس لاطفاله.

فبكر خلف واولاد صغر الى مضيف سعدون، وقد نمت في اذهانهم

الكلمة الشجاعة -لا نعطي خبز اطفالنا -انتظروا حتى تدور القهوة على الديوان، راح خلف يلف سيجارة وكان حديث العهد بلف السجائر، يخطئ احيانا في ثنى الورقة، فيعيد عملية اللف. ويفكر ببداية تصلح مطالعا لحديث جاد مع سعدون. يستبدل عبارة باخرى. يزن الكلمة فيجدها غير مناسبة. يعاود البحث عن المكان المناسب لتلك العبارة التي تجمل كل شيء (خبز اطفالنا..).

كان سعدون على بينة من مسعى خلف، فقد اخذ غافل على نفسه مهمة تبليغه بثورة خلف عصر امس، وبالع بعض الشيء فيما رواه. وضع خلف سيجارته بعناية في مشربه الخشبي. قدح زناده مرتين.. عاجله سعدون قبل القدحة الثالثة، متصنعا المرح، وقال:

هاه خلف. چن ازنادك هم صار مثل ذاك ابو صلبوخ!

اتبع ملاحظته بضحكه، ثم رمى زناده الجديد بين يدي خلف وقال:

- ورث بيه واخذه فردنوب.

تجلى البشر على محيا خلف وانطلقت اساريه. قلب الزناد بين اصابعه. نضحت ابتسامة من شفثيه المطبقتين وهو يفكر: انه يختلف عن زنادي لابد انه اشتراه في سفرته الاخيرة قبل اسبوع، لما تزل فتيلته على طية البائع. هذه الشدة تشبه العقدة التي تربط عقال الفرس. بوسعي ان عقدها. حل الشدة. حاول جاهدا ان يعيدها الى سيرتها الاولى. لم يفلح: حسن من الافضل ان تقسم الفتيلة نصفين. ليحتفظ النصف الآخر برونقه وهذا النصف يكفي لشهرين.

منذ متى اشتريت ذراعا؟ هذا يبدو اكثر من ذراع. والنصف الآخر اكثر

من نراع. كم يبقى الذراع؟، نبه ابن صكر، الذي يليه في المجلس الى طول سكوته. غمزته خلف باشارة (تريث قليلا). اراد قذح الزناد ثانية ثم استترك مع نفسه ولكن (عيب...) لا يصح العبث به في الديوان، وفي هذه الساعة بالذات، وقد يعلق احدهم مازحا او آية عبارة تستدعي الرد ويتشعب الحديث. الافضل ان الف سيجارة ثانية وان لم تكن بي حاجة للتدخين ولأرى قدحته. اشتعل الفتيل بقدحة واحدة: كم انا سريع التأثر! اوشكت ان اسيء الى علاقتي الاخوية بسعدون من اجل خمس حاصل الديمة. تف على وسخ الدنيا بصق ورقة تبغ علقت بلسانه: اي قياس بين خمس حاصل الديمة وبين القيمة المعنوية لالتفاتة سعدون (تفضل يا خلف هاك زنادي) وسط هذا الديوان المزدهم. لو جمعت كل اساءاته ووضعتها في كفة لرجحت عليها نفحته هذه. ابن مهلهل ذهب تيزاب لن يصدأ ابدا (الكسب لو طال طوله يرجع لأصوله) انها لن تقدر بثمن مادي. صداقة عمر طويل (والماله اول ماله تالي). كما ان شك حسين زائد عن الحد ولا لزوم له. عاود سويلم الصكر اشارته. رفع خلف حاجبه وحرك رأسه بعصية. فهم سويلم الصكر ان صاحبه قد عدل عن رأيه. غادر المضيف حانقا، وشكاه الى حسين، واصفا اياه بأنه من نوع الرجال الذين ينطبق عليهم المأثور (حط بيده خثى واخذ خبزته) ضحك حسين وردد:

- بالوزا يا حيف ما هيه رجال كَوَم النمشا واخذ بيضاتها.

* * *

ولما اقترب موعد القسمة، سرى همس بين الفلاحين، وارتسمت علامات استفهام عن مقدار حصة المضخة.

باغتتهم سعدون في ديوان الصبح، بحديث محكم، بدأه بنبذة تاريخية، ذكرهم بحصته التقليدية ٢٠٪ خالية من كل التزام ونفقات. وحصة المضخة كما تقول الناس، في كل مكان ٥٠٪ وعلى هذا الاساس يستحق من الحاصل ٧٠٪ لكنه يكتفى بـ ٦٠٪. وان القسمة ستجري (خمسین والثلاث) وأشار الى اتفاقه معهم عشية المباشرة بأعمال الموسم، الذي نص على ان تكون القسمة مثل قسمة اصحاب المضخات الاخرى. وان صلالاً باشر القسمة مع فلاحيه على اساس الخمسين والثلاث.

انفجرت الازمة، وهبت العاصفة، لكنها لم تحصل مضيف سعدون، امضى الفلاحون ليلتهم يتحلقون جماعات، يتشاورون لوضع خطط تنسف هذه القسمة الجائرة.

كان المتطرفون يقترحون جعلها ٦٠٪ للفلاح و ٤٪ لسعدون فيما يرى المعتدلون ان المناصفة حل مقبول. تسلل اكثر من وفد الى بيت حسين لاستطلاع رايه، وهو معقد الآمال في مثل هذا المشكل العويص، وهو المؤهل حقاً للمجاهرة برفض هذه القسمة.

لكن احدا لا يدري ما هي الاسباب التي جعلته يؤثر الصمت ويكتفي بترديد اشعار ومائورات غامضة مثل قوله (التجمعه النمله بسنه ايشيله البعير بساعه) او هوسته المعروفة: (اليوم اهون باجر ضوكة!).

عاودوا التشاور فيما بينهم. كان كل واحد يستمد العزم من حماس صاحبه: غدا موعد القسمة، ويكفي صوت واحد يرتفع بالرفض لتتناغم معه كل الاصوات. ويستقطب كل النعمة فتتحول الى عاصفة تجتاح القسمة الجائرة ومن فرضها وتوسد كل أمله: ما اكثر المتحمسين وسأطلق صوتي

بعد الصوت الاول.

* * *

اقبل سعدون ضحى، يتبعه ملا محسن، وعدد من المقربين. توتر الجو. ساد الوجوم. عود ثقاب واحد يكفي لاشعال حريق لا ينطفئ، توقف سعدون عند اول حاصل جاهز للقسمة. أمر الكيال ان يياشر عمله. تلفت صاحب الحاصل الى الفلاحين المتحلقين. لمح في عيونهم شيئا من الاصرار. كانوا ينتظرون صوته. فمن أجدر بالصيحة من صاحب الحاصل. انتظر ان يرتفع الصوت من بين الفلاحين: اتريدونني جسرا تعبرون فوقه؟ لن اكون الجسر يا جبناء، ارتفع صوت الكيال: واحد.. الله واحد.. اثنين.. اسم الحسن والحسين.. اربعة.. تريح يامن تصلي علنبي. ولم يرتفع الصوت المرجئ من بين الفلاحين.

لم يتوقف حسين لحظة عن (الذراوه)، متجاهلا سعدون وبطانته الذين كانوا يقسمون حاصلا مجاورا لبيدره. تسلل اليه خلف، متمتما بعبارات شكوى ممزوجة بشتائم للفلاحين الذين ارتضوا هذه القسمة الجائرة. لاحظ خلف ابتسامة حسين، عرف مغزاها، فأستدرك يوضح: لو لم تكن علاقتنا خاصة بسعدون لكنت البادئ بالمعارضة. لكن ذلك لا يصح من جانبي، ساعتها نصبح مضغة في الافواه، ويا لفرحة الخبيث صلال. عتبي على هؤلاء الذين لا تربطهم بسعدون اية رابطة لماذا لا يرفضون وممن ينتظرون العون، ومن ذا الذي يطالب بحقوقهم نيابة عنهم؟ اجابة حسين ساخرا:

- چا غير ينتظرون صاحب الزمان يطلع ويأخذ حيفهم؟!

وشرع (ملا محسن) يسجل بدفتره حصه الشيوخ من كل بيدر..

واستمرت الابل بين المحلة والقرية مثل سرب النمل، فأرتفع تل من الشعير بلغت ذروته قمة المضيف، وكان عنبار الحنطة اقل شموخا. فوقف خلف قبالته، ذات يوم، يشير باصبعه ويذكر الكهل الذي قال عن المضخة أنها شغل ابليس (وزرعها ما بيه بركه) وقال له:

- هم بعدك اتكول المكيهه شغل ابليس.. زرعها ما بيه بركه؟ چاهذا الطعام من شيب ابو خلف يومن شيب المرحوم والدك؟!

* * *

حوم ناصر بن حسين ثلاثة ايام، حول الشاطيء، يرقب المكان الذي تنزله حسنه لملأ جرتها أو لغسل بعض الاواني، فلم يرها أعياه التسكع في مواجهة باب الحوش. يس من التقاط اية اشارة تنبئه عن سبب احتجابها. فأمر شقيقته بالذهاب الى بيت سعدون لتستجلي الامر. ظل يخطر في فناء البيت يتجرع مرارة الانتظار. ركه خوف من المجهول، لم يعين مصدره، خمن ان تكون مريضة. ولكن ليس هذا مبعث القلق. عادت شقيقته بما لم يكن بالحسبان: انها (محصنة) والمحصنة لا تتخطى عتبة الدار: وماذا وراء هذا؟ ارتج عليه الامر. هرع الى امه. الح عليها ان لا تؤجل مخاطبة ابيه حول مسألة زواجه.

اصفى خلصة لما يدور بين والديه. كانت كلمات ابيه اشبه بالسياط تلهب ظهره: سعدون لم يعد منا، انفصل عنا نهائيا. اصدقائه من الشيوخ وكبار السراكيل. لا يستمرئ الا النعوت التي يطلقها عليه الخضارة واصحاب الابل. صار اسمه الرسمي (الشيخ) وطويل العمر. يجاب اذا صوت بكلمة (عونك) ولا يخاطب الا بلفظ (محفوظ) واحسب أنه يتقزز من مخاطبتنا إياه

بلا القاب ولا أدعية بطول العمر توطئة للكلام. يخيّل الي ان ناصرا لا يتمتع بحس سليم اذا لم يلمح هذه التغييرات. او لعله يطبق المأثور الشائع (ابو حازه اعمى ما يشوف غير كضيانها)، احسّ ناصر بأن والده يذر الملح على الجروح التي خلفها بسياط كلماته حين تساءل ساخرا:

- شنهو معنى تحصين بت سعدون؟ (يا بعد احصان ابوي) ومادام صارت البت محصنة، شنهي رفجتها وي ناس مثلنا؟ من كون مرة الفلاح امحصنه (يا بعد احصان ابوي) لازم يشتري الها وصيفه تخدمها. ومن كون مرة الفلاح بكعبة وسرسوحة (يا بعد كعبة امي وسرسوحتها) يا هو اليحصد ويا هو اليحضّن؟، وانشد بلهوجة (المائشوف بمنخله عينه العمى)، ثم كف عن إتمام الشعر لعدم ملاعته الموقف، اطلق زفرة من منخريه ونهض مهوّسا:

طرخانه وطاحت يخالطي!

* * *

أجهد سعدون نفسه، بحثا عن (روزخون) من الدرجة الاولى، ليقيم تعزية في مضيّفه ايام عاشوراء: فتعزية الحسين مجلبة للرزق والبركة. تدفع الشر وعثرات الزمان. والى هذا فهي من مستلزمات الشيخة واصبحت من متممات الأبهة.

ولما اقترب موعد هلال شهر محرم قنع بالسيد علي الكربلائي، وهو روزخون من الدرجة الثانية.

طلب خلف من السيد (الروزخون) إقامة التعزية في بيته نظير أجر مساو لما يدفعه سيد محمد (ابو شرارة). رفض الروزخون طلبه، زاعما بأن الاجر

المتفق عليه مع ابو شرارة هو اجر رمزي، وانه يقيم التعزية في بيته كما لو انه يدفع الزكاة عن ايراده السنوي (وزكاة السيد للسيد حلال). سأل خلف، باخلاص، ان يقرأ له (على كد افلوسه) لكن الروزخون اعتبرها دعابة ولم يأخذها مأخذ الجد، ولما كرر خلف قوله:

- سوها كطف.. علي وجهي يا ابزيزينه.

اغتاظ السيد الروزخون ونصح خلفا بعدم التعرض لتعزية الحسين على هذا النحو الساخر. ولم تفلح توسلات خلف الا بعد رفع الاجر، ومع ذلك اعتبره حسين اجرا زهيدا وطلب هو الآخر اقامة التعزية في ريعته بمثل الاجر الذي اتفق عليه خلف. ورتبت المجالس على النحو التالي: مجلسان في مضيف سعدون، احدهما صباحي والآخر ليلي، واختير العصر لبقية المجالس اولها في بيت السيد ابو شرارة وآخرها في بيت خلف.

اسر خلف لحسين، في اليوم الثاني من عاشوراء:

- فطنت للسيد الروزخون، بربعتي وربعتك ايسوي اقرائته طفيرك يا كمر.. وبمضيف سعدون وبربعة ابو شرارة ايسويها من طول سنة الجوعه، اشكتر حجي واشكتر نواعي..

- انت موش سامع بأمثالنا انكول: لحيه وإلحيه ومره وامريه هسه ضيف الهن اقرايه واقريه!

وفي اليوم الخامس من عاشوراء داعبه حسين متصنعا الجد:

- شفت أشلون؟ بربعتي وربعتك يقرأ على ربع الحسين جون الاسود وزهير وبرير وزعاطيط مسلم بن عقيل، وبمضيف سعدون يقرأ على العباس

وعلي الأكبر وإبطال بني هاشم، وبين اليهود الأيد.

اجابه خلف بأستسلام:

- جده ينتقم منه. كام ايشربّ النا على كد افلوسنا!

* * *

همست له شقيقته، قبل طلوع الشمس، تنقل رسالة مقتضبة من حسنه، لم تتمكن من ابلاغها ليلة امس: تقول ان الحوش يخلو ساعة يقام المأتم الليلي في المضيف لان امي تذهب مع نساء القرية ويحطن المضيف لمشاركة الرجال بكاءهم ويتفرجن عليهم ساعة يلطمون وابقى وحيدة في الحوش طيلة ذلك الوقت.

ادرك ماذا تعني الرسالة، وفكر بالذي ينبغي عمله. حمل مسحاته وانضم الى الحشر. جاش صدره بالسر الخطير وشرع يحاور نفسه:

كيف السبيل يا شاطرا؟ تمنيت الفرصة وها هي سانحة. ومن يضمن. وماذا سنقول. واذا ما جد حادث. واذا ما ارتفع لسان الفضيحة مثل حريق بيدر واذا ما؟ اسمع يا شاطرا يخفي جيبه وراء حكمة كاذبة - ليست غبية الى هذا الحد فتبلغك دعوة بالحضور دون ترتيبات صيانة ولكن افترض وعلى حين غفلة طلب الشيخ - الله إيجثر الشيوخ! - شيئا ما؟ ما اكثر الاكواخ و(كباب المطال وكواير الشوك). افرض انهم اغلقوا الباب. اغلق فمك يا جباننا يتعقل وتسور الحوش. هل تسورته من قبل؟ وكيف يتسور اللصوص ما هو اكثر ارتفاعا؟ وماذا عن الحارس عبيد المنتاز؟!

أطلّ عبيد من وراء السد الترابي يراقب عملية تطهير البترا بأمر من الشيخ سعدون. حياه وسأله عن سبب تأخره:

- الله ايساعدك.. اليوم متعطل عن جماعتك.

- هله بيك. ابن الحلال بذجره..

- انت ويامن ذكررتني؟

- بيني وبين روعي!

ضحك عبيد المنتاز، ثم سرعان ما انتابه القلق وفكر: أتراه لحني البارحة مع صالحه؟ لقد رأيت شبعا يترصدنا. لكنها قالت: امرأة تقصد الخلاء. فلاستوثق الخبر:

- انتة هم تلطم بالليل؟

- الليل؟ لطم الليل اخليه الك. آنه الطم با لنهار ما اتشوفني اشلون

امهدل -الليل الك وحدك!

غادره عبيد مقلقا: لا شك في انه يعرف. ما كان ينبغي اتخاذ طرف الصيرة الشرقي مجلسا لنا كل عباراته تؤكد ذلك.

تنبه ناصر الى تخلفه عن زملائه. وكان السباق لانجاز (طرحه) في كل يوم. نفخ غبار الكسل. تحركت رجله اليمنى بسرعة تضغط دوسة المسحاة وترتفع يداه بخفة وحيوية. وكأنه يجهز على بقية النهار ممثلا بحصته من العمل. كانت مسحاته تستدير كالمروحة وهو يعيدها خالية من التراب، لسانها يلمع تحت ضوء الشمس وخلال ثوان يرفعها مملوءة بالتراب ليلقيه بعيدا عن (التراب). لم يمض طويل وقت حتى أنجز عمله، حمل مسحاته، دون ان يأخذ قسطا من الراحة.

قصد المكان الذي يعمل فيه حمزة بن خلف ليساعده على انجاز الطرح، كعادته كل يوم. رمى حمزه آخر شلة فأمسك مسحاته من وسطها، كما

يفعل الرجال بالبنادق اثناء الهوسة وقفز في الهواء معابثا وهو يردد احدى
هوسات ثورة العشرين سمعها مرارا من حسين والد ناصر:
- يتوزع واطروح انشيله! يتوزع واطروح انشيله!

* * *

اكل ناصر رغيفيه على عجل، مبعدا رأس البصل الذي قدمته امه
غموسا للغداء. ذهب ليستطلع. تفحص الطرقات والاكواخ المحيطة بالحوش،
كانه يراها اول مرة. سار بمحاذاة الغراف. سر لوجود بعض الاكواخ
الملاصقة لضلع الحوش الجنوبي: لم الحظها قريبة هكذا من قبل ما انسب
مكانك هنا يا (كبة) المطال. من (الصيرة الى كبة المطال). اذا لبدت في تلك
الصيرة تبينت الداخل والخارج بوضوح. تطلع في السماء: حرنت الشمس
هذا اليوم مثل ثور الزيايدي. ترى هل يحملها ثور مثل ذاك الذي يحمل
الارض. هل رأيت يا ثور. مالك وللثيران تفحص الحيطان. تذكر مجلس
التعزية في بيتهم. رجع لتهيئة الربعة. لم تبق على الموعد الا ساعة. نصف
ساعة تدوم التعزية، بعدها نصف ساعة في بيت خلف. تغرب الشمس.
يؤذن السيد الروزخون يستعد للعشاء يأكل رقد لا تتعرض يا ناصر
وانت مقبل على شدة. كل شدة وراها فرج. أي فرج منهم؟ فرج الخشن،
فرج الحداد. أم فرج الصياح الخضار. لا تهلوس يا ناصر انصت انصت
للتعزية. كان آخر عهده حين قال ياليتنا كنا معكم سيدي: لازال يتحدث،
جاء مزاجه اليوم وطالت الحكاية.. (سامعيهن الف مرة يا بعد جبدي)،
اخرس، لا تكفر، لا تتعرض تعزية الحسين، لا اقصد التعزية بذاتها افديك،
يا ابا عبد الله يا بطل. لكن هي نفس الحكاية ردها الف مرة، تستهويه

البطولة ومع ذلك لا يخرج في الليل يتبول، يخاف (الواوي) يستنجد بعبيد
المنتاز. يقف قريباً منه. الله يبلي سنتك يا عبيد (حسبالك تيس احسان،
ابو التيوس) الف استغفر الله ياربي. فضني يا اغاتي.. سامعينهن يا بعد
جدي لا اتسويها سرمه، إقرأ الفاتحة وخلي اشوف شغلي. الف استغفر
الله ياربي.

ولما خلت الربعة، انصرف يعد نفسه للقاء الليلة. حلق لحيته، سوى
شاربيه الخفيفين بعناية، تفحص وجهه بالمرآة: كانت صغيرة تلك.
استقطعت ثمنها من الغداء. اشتريتها بثمن الغداء كله. أتراها على ولعها
الاول بالمرآة، ويقول ابن السلوك بنان منتاز. تف على الطين وبنيانه. لا
اتسويها بعد - فالح نايم بالربعة وتطب وتنسف الستار من يم راسه
وتتمدد ويأي على الفراش. أسويها وأسويها وما يردني بس عزراين. اسم
الله عليك من (جبحاين).

تمشى على جرف الغراف، دونما قصد محدد، كان يتهرب من مواجهة
أبيه: ما اسهل ان يقرأ خبايا الصدور من نظرات العيون، يحلو لخلف
ساعة اعابته: لا اتصير جني مثل ابوك!! سمع اولاداً يتحدثون عن اللطم
في مضيف الشيوخ قال احدهم:

- دريول المكينة سوا مشعل مال نبط اشكبراته. يشيلونه جدام التعزیه
لو طلعت اللطامة تفتت بالجريه.

- ليش ما نطلع الليلة؟

- السيد الروزخون كال ليلة الاخرى يو اللي وراها!

ابتسم ناصر وكأنه يعبر عن الامتنان للسيد الروزخون: حسنا فعلت يا

مولاي حين أجلت طواف الموكب فما يدريني ويدريك بالذي يحدث لو طاف
الموكب. وقد وضعنا خططنا على اساس اللاموكب. من الافضل ان تمنعهم
الليلة والليلة التي بعدها والبعدها والبعدها. لا تخطف يا ناصر اي بعدها،
لم يبق على ليلة عاشوراء سوى ليلتين. حرق في الشمس المصفرة: حرن
ثور الزبادي! ماذا لو حرن الثور الذي يحمل الارض على قرنيه؟ كيف؟ من
قال لك انه يسير، يا ثورا يحمل على رأسه (العغال)؟ الم تسمع بأن
الهزات الارضية هي لمجرد انه يراوح الارض من قرن لآخر بحركة متزنة؟
ماذا لو أجفل الثور؟ سوف تنهدم.. يتهدم حوش سعدون ولا شيء سواه،
ولن يضير اهل الخيام شيئا مروتك يا ثور.. أه لو تسلطت عليه لنفخته
بالخنجر تحت ذيله. (فيعنقص) وينهدم البنيان (المنتان) وتنطبق حجرة
المضخة عليها (ما چنك زارع يا بده) وتعود حسنه الى بيت الشعر، ارفع
الستار واتمدد بلا خطط وتدابير. مروتك ياثور حرج جرنك ياثور ولو ترغى
ياثور. تناهى اليه صوت السيد الروزخون يؤذن للمغرب: يتحتم على ان
اعود وابدو كما كنت في كل امسية. رأى والده يستقبل القبلة محركا رأسه
مهيئاً يداعب حبات المسبحة. وانهى التسبيح والصلاة بدعائه الاثير:

- اسألك حسن العاقبه، ياربى حسن العاقبه. ما نريد غير حسن
العاقبه. كل شيء يسير على ما يرام. هكذا طمأن نفسه، وهو يتابع الرجال
يدخلون المضيف ويتراصفون في المجلس (چدس التمر بالحلان)، كما يقول
خلف. واخذت بعض النسوة اماكنهن خلف الستار: ولو لا هذا الهلال
الوقح الذي شب عن الطوق لما كان ثمة ما يدعو لكل هذه الاحتياطات.
من هنا لا اميز الداخل والخارج. سيكون حالي كذلك لو دخلت وخرجت.

ما اسرع خروجك يا جبان هل انت خائف؟ دخلت وخرجت! دخلت ثم كيف ستقبلها بعد هذا الدهر الطويل؟ وماذا عن النهدين النافرين لابد أنهما اصلب وأشد مقاومة! يالفرط حساسيتها من لمس النهدين! تجفل. اقبلهما، دعها تصرخ، الحوش خالي، ربي حسن العاقبة، فرك راحتيه ببعضهما: اقرا وخلصني!. باغته عجز تخرج من بيتها مهولة لتدرك التعزية (كش عرصة ارنب) لا تكن سخيفا ابي يهزأ من غافل لانه يخشى ذكر الجن والطنطل في الظلمة ويرجع ادراجه اذا استقبلته الارنب صباحا فلا يعمل طيلة ذلك اليوم ويقول له ابي (انتة سليت يا خويه. حتى جدتي ما جانت تعتقد مثلك بالخرافات) اين هي الارنب؟ اشويها وأكلها كما يفعل البدو. دع الارنب ولحم الارنب فكر بالغزال. (يا خشيف الوارد بشاطي الحلال) لمح امرأتين وطفلة تغادران الحوش.

فقال لنفسه: احداهن امها والثانية (نعلة والديها) وتلك الصغيرة شقيقتها يا نور الله (حرج كرونك). لم يبق في الحوش سواها من ادراك؟ رفع الجبن رأسه. ضج المضيف والخلاء المجاور بالصلاة على محمد. ورددت جنبات الحوش صدى الاصوات المتعالية. الثالثة باعلى اصواتكم: اللهم صلي.. احس ارتعاش في ركبتيه: اتخسى.. خطا سريعا. ارتعشت مفاصله: اتخسى يا حيف والله. سار بموازاة الضلع الشرقي محتما به عن ضوء القمر. تناهى اليه صوت الروزخون.. ياليتنا كنا معكم فنفوز والله فوزا عظيما يا بعد جبدي صدكك الليله فوزا عظيما دخيك يا مولاي يا ابا عبد الله لا تحسبها علي ذنب. الدنيا تريد والآخره تريد. وعبدك وابن عبدك كلبه صاير عطاب.

تلفت الى وراء. قفز ليتخذ من ظلال الاكواخ سترا. سار بأرتباك شعر
بضعف ساقيه عاود زجر نفسه: اتخسى يا جبان الرجال انفوت على
الرصاص (ابوك عكل ركبتك بالعركه). انا اخو راشده، يا حيف واللّه. وصل
في سيره المتعثر قبالة الباب. نذر لمراى شبح يهم بمغادرة الحوش. التصق
(بالصيرة). كورّ نفسه مثل قط يتوثّب للعراك. سمع وجيب قلبه بوضوح. يا
ربي حسن العاقبة لمح وجهها على ضوء القمر. رفعت ذراعها مشيرة اليه
بالتقدم وكانت تتابع سيره مذ غادر ضلع الحوش الشرقي. قفز دون حذر.
بلغها بثلاث خطوات حسبها مسيرة مضنية، نشرت عباؤها عليه حالا
اقتادته الى حيث لا يعلم. طوقها بذراعه الفى اصابعه دون سابق تدبير في
نروة النهدي، اجفلت فقال لنفسه: فكرت بالامر. اخشى ان تسمع وجيب هذا
القلب الجبان، هانت الشدة. كل شدة وراها ادركت بحس مرهف انه
سيسفل عن كل شيء ولا يفهم شيئا مما يقال له، اذا غرق في لجة العناق،
وتخدر بالقبل. اشارت عليه ان يتبين طريق الطوارئ، اذا ما تعذر خروجه
من الحوش اوصلته الى دكة التنور في ضلع الحوش الغربي واوضحت له:
بوسعك ان ترقاها وتنسور الحوش فتجد نفسك في المكان الخالي لا
يفصلك عن الغراف سوى اذرع. فكر وهو يهصر عودها بشغف: يالك من
رائعة، لقد خمنت. ومثلما انت بارعة الجمال كذلك بارعة الذكاء وقد وضعت
تحت تصرفي عوامة للنجاة اذا ما هبت العاصفة على السفينة وأغلق باب
الحوش. أه يا ثور مروتك يا ثور هكذا تحرك يا ثور. حملها بين ذراعيه:
لقد امتلأت عافية ونضجت مثل قمع ان حصاده ليس عبثا الغاز الشباب
(حنطتنا طاحت) يا منجلي يا بو يدّه. مروتك يا ثور. دس وجهه في زيقها

شهق بكل ما في رثته من قدرة على استنشاق العبير من بين النهدين. همست بصوت متهدج: ليس لهذا بعثت في طلبك. ثمة امر خطير لم تتوضح لي خطوته كاملة. اجمله لك اعتمادا على حس لا يخطئ ولا يخون صاحبه وهو ان اهلي قد عدلوا عن تزويجي لك. خفت غلوائه. فتر حماسه. تساءل واذن؟ وما الذي نصنعه؟

بكت حسنه. اختلطت اصوات الرجال بصراخ النساء وضج الجميع بالبكاء. تخففت قليلا من النسيج. قالت انها تفضل الموت اذا لم يتيسر لها الاقتران به.. وانها على استعداد لما هو اسوأ في نتائج البعيدة ولكن لا بد منه. تفكر بالهرب معه الى اي مكان في الدنيا تراخت اصابعه. حرر خصرها كف عن العبث بجذائلها ساد صمت ثقيل، فيما ضج المضيف بأصوات اللطامين ووقع اكفهم على الصدور. وعدها ان سيبذل المستحيل. وبعد ذلك يتخذ القرار الحاسم. ادركا ان المأثم يبلغ نهايته تواعدا على لقاء آخر. لفته بعباءتها وسارا الى باب الحوش. تطلعت يمنة ويسره، ثم حررته هامسة بأشفاق يشوبه القلق. دير بالك.. الله وياك.

شل تفكيره ووجد نفسه يدور في دوامة (الهرب): يا له من سلطان اهوج. ألم تسمع من قبل كلمة (ناهبه) مقرونة بكل الاحتقار نسيت انها ابنة رئيس العشيرة. وينعقد الديوان -الكل يحرق في الارض لا يجروا احد على النظر في وجه صاحبه. ويتهرب كل فرد من ابناء العشيرة عن ملاقة ابناء العشائر الاخرى. (ابن حسين نهب بت سعدون). أهذا ما كان يريده (ربي حسن العاقبة) اية عاقبة سيئة. لا اظنها تعني ما تقول. واذا كنت تقصدين تحريضي فهل بوسعي عمل شيء؟ كيف يحدث هذا. لقد حدث

وتحدثوا عنه طويلا هجرت زوجها رئيس القبيلة وهربت مع الخادم. وبن
الآخر مع سايس الخيل. يحدث هذا ويصير حكاية للعبرة. ولن اكون
حكاية. ولن اخادعها بصراحة لا اقر الفكرة وهذا قراري الحاسم.

ما بك؟ هل تشكو مرضا؟ العمل مرهق. لم تصدقه امه وخمنت اسباب
الدبول وشروذ الذهن. اقلع عن محاولاته الاولى: انه كما يقول خلف (شبوط
يغيش الماي بذيله) ولقد غيش الماء وعرف الحقيقة قبل ان تتحول الى
كلمات. سيرجع الرجل في كلامه وقد رجع وليس من امل الا في معجزة
خارقة للعادة وقد يعنفص الثور وتتهدم اسس وجدران، وهذه المضخة
الملعونة التي قلبته من حال الى حال. ولا ييأس من رحمته الا القوم
الكافرون.

استعاد تفاصيل مغامرة الامس. اطمأن الى سلامة الطريق الذي سلكه
واعجب بخطة الطوارئ. لم يتعجل التصويم حول الحوش. وجد نفسه
يصغي بخشوع الى ابيه مرددا دعاءه الاثير بعد صلاتي المغرب والعشاء.
حسن العاقبة ياربي. ما نريد غير العاقبة. سار على مهل. لمح امها تغادر
الحوش. ارتفع صوت المستمعين بالصلاة على محمد. بلغ ركن الحوش
الشرقي: لا بد انه شيء آخر غير الخوف. لبد في (الصيرة) المواجهة لباب
الحوش لمحها تملأ باب الحوش. اومض (العران) تحت ضوء القمر. لم
ينتظر اشارتها اندفع نحوها، التقف معها بالعباءة، قادهها الى مكان خلوتها
البارحة بدلا من ان تقوده هي، قالت في سرها: يتحتم علي أن ازيل ما
علق بذهنه ليعبد فكرة الهرب عن كل الاحتمالات الممكنة، انها فكرة طائشة
ولن ارتضي لنفسي تلك السمعة القذرة فلأحصر تفكيري بأمرين لا ثالث

لهما: الزواج منه او الانتحار. ينبغي ان يفهم هذا جيدا. استنشق عبير
المحلب والحناء. تفتحت كل الازهار. اشرق صدره بفرحة غامرة: لن اضيع
دقيقة واحدة في ثرثرة لا تغنى ولا تسمن فلم تخلق الشفتان للثرثرة في
مثل هذه الساعة نقل شفثيه على خدها ونحرها وبلغ بهما الوادي المقدس
بين النهدين. اقلعت تماما عن التفكير بالكلام: ليس هذا وقت الموعظة. كان
صوت الروزخون واضحا يروي قصة عرس القاسم على نحو درامي..
لعنت يزيدا واتباعه الذين تسببوا في ترميل عروس منذ اليوم الاول. لو كان
الامر يتعلق بكم يا اهلي. فلنتمرغ وجوهكم في الوحل ولتنكس رؤسكم.
سمعهم يضجون بالصلاة على محمد في نهاية المأتم: لم تبق الا فترة اللطم
وما اقصرها: تعجل انتهاء المجلس لعل كثرة الطيخ تحول بينه وبين
الاستمرار في القراءة (مال الاحدار يا اغاتي)، رحمة على ابوك يا خلف
سواها كلف غام ايشرب الننا على كد فلوسنا ولكنه في مضيف سعدون
هل بدأ يشرب لسعدون؟ لا يا مال النويعم وأنه داخل على جدك. التصق
بها مستمتعا مدت رأسها من باب الحوش تتفحص الطريق، مد رأسه من
تحت ابطها، رأى شبعا، شبعا آخر في الطرف الشرقي من صيرة احميد
ابو البينه. همست له:

- هذا عبيد بن غافل وصالحه بت ابو البينه.

اشارت عليه ان يتسور الحوش زيادة في الحيلة، اضافت: ان علاقات
عبيد وصالحه تمتد الى زمن. ربما تحابا في نفس الوقت الذي بدأت
تغازلني فيه وكنت متوحشة بعض الشيء. ان صالحة صديقتي ولا تخرج
من رواية مغامراتها مع حبيبها كل مرة، وتعجب مني لماذا لم اعشق حتى

الآن. لام نفسه وهو يصعد دكة التنور: كان علي ان اجرب عملية تسور الحوش قبل الآن.

(هي اتجَبَّش، هي غربال) يا غشيم. وجد نفسه خارج الحوش. بينه وبين جرف الغراف بضع خطوات.

* * *

كان بيت حسين مثل خلية النحل، نهار التاسع من عاشوراء شغلت الام بظفر جدائل نصرة بالمحلب، وأوقد النار نعمة استعدادا لتحميم الحنطة المنقوعة، وسأل اياه:

- بويه.. انتة هم تاكل جلي؟

- مال حنطة؟

- ايه حنطه.

- اخاف على ضروسي.

- امي عدها سمسم ضامته لنصرة..

- من تجلون سمسم اطوني وياكم.

نشرت الثياب المغسولة على واجهة البيت. لبس ناصر دشداشته العتيقة،

واعطى الجديدة لتغسلها امه. لاحظ اهتمام زوجة خلف بدجاجاتها. كان

حمزة يطاردهن بلا كلل. سمعها تناديه:

- ولا اتخلي ولاوحده ترا الفروخ ايبوكونها

سرقنا الدجاج اكثر من مرة في ليلة (الحيه١)) الله يبلي سنتك يا عبيد

يتمتع بحاسة شم ثعلب. يعرف اين تخبئ العجائز البيض والدجاج تبدلت

هوايتنا من قنص الدجاج الى قنص الفتيات ليلة (الحيه٢)*.

تسأل نعمة:

- بويه صدك الجداه بليلة الحية ثواب؟

- اي بويه ثواب..

- وبوك الدجاج؟

- كله ثواب. كله ثواب.

ابتسم ناصر بلا تحفظ: ولعل ترصد الفتيات ومعايشتهن ثواب وليس
اكثر ثوابا منه الا مضاجعة المتزوجات اللواتي اجبرن على الزواج من
الهدلان والثولان!

عاد نعمة ثانية يسأل:

- لو بگنا الليلة دجاجة تاكل ويانا للثواب؟

اجابه حسين:

- انشد والدتك..

- انشدك انتة.

- لا انشدها، منطرف الثواب، بليلة الحية!

ابتسم ناصر: لابد ان لهما مغامرات مثيرة في عهد الشباب. يوم كانا
متحابين. شغل بحلاقة وجهه. تطلع في المرأة ثانية: هذا افضل ما في
تقاليدهم..

*الحية: اصلها حجة، حيث يقلب حرف الجيم ياءً في معظم المناطق الجنوبية وحتى
في بعض دول الخليج، و(الحية) هنا المقصود بها ليلة العاشر من شهر محرم حيث كان
يسهر الناس ليلتها حتى الصباح.

قالت ان التحصين لا يحول بين الفتاة وبين احياء ليلة عاشوراء. ليس لاحد ان يتجرا فيملي قرارا بالمنع. ومن اشاع فتوى لبس البياض للفتيات في ليلة الحية؟ البياض مستحب ولبس السواد مكروه. (ابو التيوس) كل ملابسه سوداء.

لم ارها من قبل في ثوب ابيض. هل تلبس ثوب رجل فوق ملابسها مثل البقية؟ هراء. لابد انها تقتني ثوبا نسائيا ابيض. من كان لها عشيق قالت احيي الليلة حتى مطلع الشمس واستوهب زوجي ثوب الليلة. فأن لم يكن في حياتها رجل آخر تذرعت بالقول ما دامت المرأة وما تملك ملكا لزوجها وما دام الثوب المتأتي من سهر الليلة يسجل رصيда في حساب الزوج لينتفع به يوم الحساب فلم هذا السهر ووجع الراس؟ وهكذا فلكل فتاويه مثل السيد علي الروزخون ولا يقولها صريحة الا خلف بلابوش دنيا. ولعلها تقول لامها احيي الليلة داعية لابي بالخير وطول العمر وتقول لوالدها بنت ابو البينه ادعوك بكثرة الغنم. وخلف وحده قالها بلا مدهانة. سألته امه:

- ليش ما تلطم وي الاولاد؟

- الليله الطم.

- ايه.. يبعد امك.. حتى يطيك امرادك.

استقبل حوش سعدون، بعيد غروب الشمس، شابات القرية، ضاقت بهن حجرة حسنة. حللن الظفائر ومشطنها، ولما أكملت حسنة تسريح شعرها، تناولت زجاجة عطر حاد وطيبت شعر رأسها الذي يداعب الوركين. بدت في ثوبها الابيض كالغرنوق -على حد تعبير صالحة - اقترحت احداهن

تعلق الجرس في عنقها لتقود الجوكه، شكرتها حسنة ورشحت صالحة لهذه المهمة.

انطلقن ناشرات الشعور، مرددات:

- الليلة حية للصباح - ارياح يا من تستراح

عبق الجو بأريج الحناء والمحلب ورائحة نسوية متميزة. اهتزت الارض تحت اقدامهن، ولما يزلن في عنفوان القوة. اتخذن وسط القرية ميدانا للرواح والمجيء.

انطلق موكب الرجال من مضيف سعدون، بمحاذاة الغراف يتقدمه مشعل كبير، وردد شاطيء النهر صدى لطمية الرجال:

- درعم العباس واطلم كونها وصاحت الفرسان طب طاعونها

جاب الاولاد والاطفال كل مكان في القرية، وقفوا عند كل بيت يستجدون الحبوب مرددين:

- اما تطيش لطاها عميه وادك بدواها

وتقاطروا مجموعات، على بيت البقال، يبادلون حصيلة (جديتهم) بالتمر والخلال.

بلغ موكب الرجال بيت السيد محمد ابو شرارة فبدلوا (اللطمية) بأخرى، ثم استراحوا لشرب الدارسين، قفلوا بعد ذلك عائدين الى مضيف الشيوخ. تعجل بعض الشباب فض الموكب ليترصدوا الفتيات. مستمتعين بالتحويم حول (الجوكه).

ولما انتصف الليل خف الضجيج في القرية. تعبت الكلاب من مطاردة الاولاد. أوى الشيوخ والعجائز الى مراقدهم. استبد النعاس بالاطفال وكثير

من الاولاد.

حاول ناصر عبثاً تمييز صوتها خلال فترة الاستراحة: يطلو له القول اذا ما ضج الديوان -خاييين شو سويتوها مثل ديوان النسوان! وانه كذلك لابد انها تعبلة لا تتكلم. حتى وان تكلمت. ان لها صوت بلبل. هل سمعت بلبلا في حياتك؟ يا بلبل اخرس! اذا صار البلبل أخرس يصلح لاي شيء؟ يذبح ويؤكل. بدأت تخطر يا ناصر. أنظر غادرت المكان اكثر من متزوجة.. وفي هذا فتوى كذلك. الله يبلى سنتك. مضاجعة الزوج في هذه الليلة ثواب (كلشي ثواب)

انقسمن الى مجموعات على نحو فوضوي. وفي احدى المجموعات تقمصت فتاة جريئة شخصية العاذس وراحت تردد:

- حبيت واطوني مطيه والرجل حسره عليه!

واخرى اخذت دور فتاة اجبرت على الزواج من شخص لا تهواه وثالثة تمثل دور الضرة المضطهدة.

بادرت احداهن تذكر كل واحدة بواجبها لاعداد طعام السحور.. قاطعتها حسنه قبل ان تلفظ اسمها

- ادري ادري. علي الدهن، هسه اروح واجيبه.

تسلل من مكانه على عجل ليستقبلها، ان امكنه ذلك عند باب الحوش: عليها الدهن. ايدك بالدهن. لاتهذي. علي الدهن. صرنا دهن ودبس. اخبر الدهن من اعجوسه، ادهن السير وهو ايسير. دهن الورد! صلال يحط لشواربه دهن الورد منعول والدين بنيان منتاز. لا اتخطر! علي الدهن. وصف له ابو التيوس دهن الخروج الف استغفر الله. الله يبلاك. الدهن.

دهن ونفط للمكيته انهجرت انشأ الله. انجب الدهن على الدبس. ادهن
سرك بجواره. لا تهذي. لمحا تسير بسرعة كأنها تسبح في الفضاء.
تراعت في ثوبها الابيض تحت ضوء القمر مثل شهاب يخرق الافق: لابس
المشاعر وجالته كلب يا بعد جوز الجلاوي والكلب. ولكن ما هو الشاكر؟
مستحيل ان يكون اجمل من هذا عيب الابيض ان اي شيء يؤثر فيه.
الهن مثل الفى حجارة امامها زعرت. ثم اطمأنت. رفعت ذراعها
بلمشاة، ثم مرقت داخل الحوش. تبعها على عجل. هرولت تستقبله عند
الباب، منكرة دخوله قبر ان تعطيه اشارة الدخول: من يدرينا انهم نيام؟
كانت في غية القلق مر هذا اللقاء المرتجل. لم تستجب لقبلاته ولمساته
الشيرة. حثته على الانصراف، مفضلة تسوره الحوش: فما أكثر المتسكعين
هذه الليلة احسنت قفرته رجة اثار انتباه الحارس، (عبيد المنتاز) دار
حول ضلع الحوش الغربي، فرأى رجلا ينزل الشاطئ. اطلق رصاصتين
متتاليتين وصاح بصوت النجدة.

- حيه حيه

تجمدت في مكابها وتسارعت دقات قلبها اطلق رصاصة ثالثة حين بلغ
جرف الغراف. أه يا مستورة (بلاش) ضعفتي.. ان لم تقتله الرصاصة،
فتحت باب القيل والقال. كان ناصر قد بلغ حجره المضخة، قفز بخفة
المدعور، متخذاً المحمولة ستارا، توجه راكضا ناحية المضيف. صاح السيد
علي الرورخون من تحت الغطاء (هاي شكو؟) اجابه ناصر همسا: ابو
التيوس هذا رصاص وجيلات. ابشرك أنه هم مثلك صرت ابو تيوس!
صاح ناصر ولما يتجاوز (رفقة) المضيف:

- الزم روحك اجيتك.

لم يعد بمقدورها الوقوف. تهاوت في كوخ المطبخ.
عاود ناصر صيحته. بصوت متماسك:

- اجيتك الزم روحك.

سمعته بوضوح، تنفست الصعداء. انهمرت دموعها:

يا ابا عبد الله ما اخيبي الينخاك. الستر. اريد الستر. ما اريد غير
الستر.

* * *

اصفى حسين، ببصيرة الناقد والمجرب، لرواية عبيد المنتاز عن
الحرامية. كف عن مداعبة مسبحته وفكر: اعرف هذا الصنف من الحرامية.
في الليلة العاشرة من الشهر والقمر لا يسمح بتلصص عصفور فكيف
تجراً اللص على حوش سعدون الذي يحرسه خفير؟ ان في الجو رائحة
عبث وبعضه يورث متاعب تدق العنق ومشاكل تقصم الظهر ولات ساعة
مندم (بعد اللطم شيفيد للمضى اصوابه). لم أره مع اللطامين طيلة ليالي
عاشوراء وترصدته فلم المحه في التعزية الليلية. ربما دفعه اليأس لارتكاب
حماقة يمتد أثرها الى ابد الابد. ما اسهل ان تصدق الفتاة. وسرعان ما
تنخدع وما اضعف مقاومتها في الليل. وسحر الشياطين كله ينطلق في
الليل محوما فتصاب العزائم بالخدر ويغشى العقل ضباب يحجب الروعا
(وتعال يا عمي شيلني)، وانه لحمل لا ينهض به الف بغير. يا حسين
(اليسموئك داهية) ويهرعون اليك في الملمات ((فك تطلع هالمطي من ها
لوحله)) لا حل الا الحل. اجمع كل سادات المنطقة ووجهائها (مشاية) عليه

لعله يحرص -وان لم يكن ذاك السعدون- لكنني على أية حال استريح الى
نتيجة (اطك البيضه بهالحايط) لأبرئ ذمتي ولا أصبح في حل من قول
القائل. فعسى ولعل (اطفر النهر ما دامه ضيق). ولعل وعسى
(تندفع بكعبه قبل ما تحتاج مردي) فأني يئست (فالآياس اعدال شعبه)،
من ثم افكر بالابتعاد عن حافة الهاوية (والباب اليجيك منه ربح سده
واستريح) وان هو الا واحد من آمال أشعب (ولكن اطرده الخيال بلكى
ايطيح منه ارجاب) والستر من الله. واسألك ياربي حسن العاقبة.

الجزء السادس

شاع خبر في القرية على نحو مفاجئ، كأن الصوت الذي يبحث عن مفقود مع غروب الشمس، يسير في القرية طولا وعرضا مصوتا - يا سامعين الصوت صلوا علني، اولكم محمد وتاليكم علي، على من شاف وسمع ولزم الحاجة الفلانية.

تماما كما لو ان هذا الصوت قد جاب القرية وهتف بصوت مرتفع: يا اهل القرية اسمعوا واعلموا، الحاضر يبلغ الغائب ان حسنة بنت سعدون قد خطبت الى (شعيب بن صلال)، وتمت اجراءات الخطوبة وقرئت الفاتحة.

تهامس اهل القرية يلوكون الخبر، وفي كل فم له طعم ومذاق. انكر الخطبة غالبية الكهول والشيوخ. وتمطق بعض الشباب ومضغ ريقه. وسال لعاب المحرومين، وهم يصغون لوصف، مبالغ فيه بعض الشيء، عن فتنة حسنة وجمالها الذي اكتمل خلال فترة التحسين. تهامست الفتيات بما سمعن عن قباحة ابن صلال ودمامة وجهه، اشفق بعضهن على حسنة الجميلة الفاتنة، وحسدنها اخريات لانها غدت مخطوبة ابن شيخ يملك مضخة ومقاطعة واسعة. وقال الحائك لصديقه بقال القرية مع (حسرة) حرمان:

- اويلاخ يا ابو عبد، بت سعدون شفتها من چانت تطلع للشط تملي ماي، حسبالك زابط، وهاك ابن صلال هم شايفه، يجفيك شره، چنه سلوكي مال بدو، ما يستاهلها!

ضرب خلف كفا بكف وقال حانقا:

- هاه.. انا ابو حمزة! رحمه على ابوك يا حسين، چيف لنك زله

صدك، وتبول من صرتك، وچنت عارفها وتهوس (بس لا يصفر لك وترومه!)

اضحى حسين نهبه لمشاعر مختلفة. أحس ان كبرياءه قد جرحته، مع ان شخصا في القرية لا يعلم امر الخطوبة السابقة. اشفق على ولده من صدمة قد لا يحتملها، وازمة ربما استعصى عليه تجاوزها بسهولة: قلب الامر ساعات مع نفسه. استشعر في النهاية انه يتخفف من كابوس كان يجثم فوق صدره. ولم يعين ماهية الاحساس الذي غمره، اشبه بالعافية تزور المريض. انصرف الى ترديد بيت من الشعر، يبحث عن مواطن ضعفه، في المعنى او القافية. باغته خلف بزيارة غير متوقعة ثم عاجله بالسؤال عن الخبر المثير. اجابه حسين:

- اي نعم سمعت. سمعت يا ابو حمزة. هاي الاصول الكحيله لازم تتشبي من اصيل.. ومعلومك عشيرة سعدون كلها كدش.. ولها سبب دور الها فحل اصيل ايشبيها!
ثم انشد البيت قبل تنقيحه:

لا حجه الخير ابضناها اللي ضنت خلفه مهلهل لصال
اذعنت

علمهاين جن عشيرتنا ادمنت امطوبسه وصكعاتها
ابهاماتها

وتلقت القرية بفتور نبأ خطوبة هلاله بنت صلال الى فالح بن سعدون، فقد تبددت شحنة المفاجأة، واستأثر النبأ الاول بكل الاهتمام، وفي النهاية امتزج الخبران وصار احدهما متمما للآخر.

وعقب خلف على النبا الثاني بقوله:

- سواها الخبيث صلال.. ربطها سدر وجوتلاني!

* * *

كانت الأرض رخوة هشة، بفعل (الطربيس). وكان اول ايام الحراثة الخريفية المبكرة. ولما تزل الفرس في عنفوان قوتها، ومع ذلك تراءى (العبيد المنتاز) كأَن الفرس تسحب الفدان وناصر معا، لتباطؤها في المشي واستدارتها الوئيدة عند نهاية الخط، حتى تطامنن الزرايزير فراحت تلتقط الحب مبعدة اذرع عن الفدان، فهتف عبيد:

- مشي فرسك اليوم مشي الخنفسانه بالصوف!

لم يشعر ناصر بأية عاطفة نحوه، وفكر: يريد تمضية بعض الوقت في ثرثرة لا معنى لها وويل الشجي من الخلى. رد تحيته بصوت واهن يتناسب تماما مع سير الفرس وحركة الفدان. سأل عبيد ان يكف عن الحراثة ويصغى اليه. سحب (مجنب) الفرس ثم اتكأ على (رجال) الفدان، وتعايير وجهه تقول: اوجز وانصرف واتركني لهماومي. بيد ان عبيدا اردف طلبه بالقول:

- حط عليجتها براسها سالفتنا طويله.

وشرع عبيد بحديثه المعد، انطلق من تعميمات لا تفصح عما يريد، بدت وكأنها لتمرير الحبال الصوتية. اقترب من غايته بحذر، شأن من يجرب قذيفة يدوية. فتح صمام النابض. وضع الفتيل. تمهل قليلا ليتفرس وجه ناصر. القى القذيفة:

لقد عرفت كل شيء، عن علاقتك بحسنة. عتبي عليك لاختفاء السر عني.

الم اكن صديقك الحميم؟! ما مضى فات. نحن اولاد اليوم، وانه ليحزنني اقدام سعدون على حرمانك منها. لا ازعم المقدرة على مساعدتك في الكثير. لكنني قادر على تيسير مقابلتك لحسنة. دهش ناصر لانكشاف السر. اوجس خيفة وسأل نفسه: اتراهم يعدون لي مصيدة. اوكلوا طرف الخيط لك يا عبيد؟ لم تكن بيننا عداوة من قبل. لاحظ عبيد تردد صاحبه وطغيان شكوكه فأوضح له: قد لا تعلم ان بيني وبين صالحة علاقة حب متينة، وان صالحة صديقة لحسنة، وهي التي اعترفت بما بينكما من ود وعهد، وطلبت لقياك للتحرر من ذلك العهد.. واعترف صراحة بأنني اعرض قيامي بالمهمة وليس سوى مأمور من صالحة. فقد وضعت علاقتي بها على كف عفريت ان لم انفذ رغبتها، بقصد التخفيف من مصيبة صديقتها فهل بعد هذا تراودك الشكوك فيما اقول؟

تسأل ناصر في سره: ما الذي دعاها لسلوك هذا السبيل الملتوي؟ لابد ان فكرة الهرب قد اختمرت في ذهنها ولبئس ما تفكر به -. اعترف لصديقه بعظيم فضله وأجزل الشكر له. غالب شعورا بأحتقار عبيد لم يعين مبعثه. ساءل نفسه مرة اخرى: والا فأني شيء تبغي بعد ان وسعت الدائرة وسلمت اطراف السر لايد غريبة؟

حث فرسه على المشي. نثر بذور الشعير بكثافة لتحتل مساحة اقل، متعجلا الرجوع الى القرية: واثكف الظهور بمزاج طيب امام والدتي لافلت من طوق اسئلتها وتعازيها (هسه اشوف لك مره لگطه. بنيه حلوه ومستوره) ولابد من تدبير جواب اذا ما سألتني حسنة (يا الله اشسويت سولك چاره) وهل سيطول الانتظار؟ اسمعي. لم توصلد الابواب بعد.. هل

اوصدت حقاً؟ اي شيء يدور في خلدك يا ابي.. يا حلال المشاكل اين وصل بك التفكير؟ (يا بعد حصان ابوي.. مرة الفلاح محصنه) هل فرحت لانك تخلصت؟ ما الذي يحول بينك وبين الهبوب يا عاصفة ويطير الرماد ويتكشف جمر العداوات بين العشيرتين. اليس من اجل كلب ضرب بحجارة اقتتل المنازلة والفهود وبلغت الضحايا بين قتيل وجريح ثلاثين؟! اليس من الممكن حدوث شيء ما بين العشيرتين؟ اليس هو صلال الذي تحالف مع ابن طرفه، كيف نسيت يا سعدون يا سليت؟ يا عديم الوفاء؟ يقولون الايام حبلى. يا حبلى متى المخاض؟ ومتى يحدث ما لم يكن بالحسبان؟ ها هو عبيد المنتاز يسعى بقدميه يعرض دخولي الحوش الذي يحرسه. فمتى يسعى سعدون بقدمه طالباً التكفير عن خطيئته. يا حبلى متى المخاض؟ يا ثور متى تداعب قرنك؟ هل لا لذعتك حشرة؟ لم توصل ابواب الامل كلية، وتحت الارض ثور قد يعنفص في اية لحظة!! * * *

اتخذ مكانه عصراً في ربة السيد محمد ابو شرارة، فيما يلي الباب، حمل السيد دلة القهوة بنفسه، سقاه فنجانين. كان يخالس سعدونا النظر: سامرغ وجهك بالوجل. الليلة موعدي معها مبعده اذرع من انفك الكسييف وحارس بيتك يحرسني لانام معها نضحت من شفته ابتسامة حين خاطب احدهم سعدونا (يا طويل العمر): بوسعي ان اقصر عمرك. اجعلك تتمنى قصر العمر. انا الثور الذي يحمل ارضك لو شئت (لعنفصت) وأحدثت الزلزال وطبعت وجهك بالعار الابدني (بت سعدون نهبت. نهبت بت سعدون. سعدون بته نهبت)، يا عديم الوفاء ليس يعنياني امرك. لو كان الزلزال لا يهدم الا كرامتك لفعلتها. تحاشى نظرات عبيد المتسلطة. لم يستجب

لابتسامته. تفرق اهل القرية. كل الى بيته، يتناولون طعام العشاء، يصلون فريضتي المغرب والعشاء بلا فاصل. ويتقاطرون ثانية على مضيف الشيوخ لتبديد ساعة او ساعتين من الليل. لم يعد حسين يؤم المضيف ليلا، اكتفى بـ (تسيارة) الصبح، متحاشيا النظر الى سعدون، بله الحديث معه. وانقطع خلف هو الآخر عن تسيارة الليل، ففقد الديوان طابع السمر الذي كان يضيفه وجود حسين، منشدا الشعر حاكيا بعض الاساطير. مازحا بود مع خلف وغافل. احتل بعض النهازين مكان الصدارة في الديوان، يتسابقون الى التزلف وتملق سعدون مكثرين من المديح الذي يشبع غروره مرددين كل ما هو تافه وبذئ، وعلى كثرتهم، سرعان ما تتأب سعدون وانفرط عقد الديوان. وتمدد فالح بن سعدون على فراشه في كوسر المضيف، فقام عبيد المنتاز بجولته حول المضيف والحوش، متنكبا بدقيقته. التقى، حسب الموعد، عند ركن الحوش الغربي بناصر بن حسين. عاد ثانية الى المضيف وجد فالحا يشخر. قدر ان سعدونا يغط الآن في نوم عميق. جلس القرفصاء ودقق النظر في كل الاتجاهات ولما استوثق من خلو الطرقات والفراغ المحيط بالحوش والمضيف. اشار الى صاحبه وسارا بحذر. تنحنح بصوت جهوري قرب الباب. سمعا، بعد ثوان. مزلاج الباب يرحب بالزائر المنتظر. تلفت قبل ان يدفع الباب زيادة في الحيلة. انفتح الباب فمرق ناصر على عجل اغلقت الباب حسنة بهدوء، تاركة المزلاج على حاله. ظلته بعبائنها وسارا الى كوخ المطبخ كان يجاهد لاختفاء رعشة المت به إثر نسمة خريفية باردة. التصق بها وهو يرفع ذراعها فوق كتفه احس صلابة النهدين. لوى عنقها ليستقر رأسها فوق صدره. انحنى يرشف الرحيق من شفيتها: لم

اعرف هذا من قبل الا على يد الراحل العظيم. (ابو الغمسي) مصة ارياكج
يعيش ابها سنه.. عاوده الدفء حررت شفيتها بصعوبة لتهمس:
- بعد ما ظل أمل سويلنا چاره.

اختزل كل العبارات والاحاديث التي اعد رؤوس اقلامها بلفظ واحد
(انشوف) واطبق شفتيه على شفيتها، كما لو ان غرضه الحيلولة بينها وبين
الكلام. تذكر عبيد المنتاز وقد طالت الخلوة: لاينبغي ان تطول اكثر..
اسمعي ان فكري لن يكف لحظة واحدة عن التفكير بمخرج.

* * *

خمن حسين ان النصف الاكثر من الليل، قد مضى -ساعة تسلل
ناصر الى الربيعه فسائل نفسه: اين تراه يمضي هذا الوقت؟ هذا امر غير
ممکن. الثعلب لا يستطيع تسور الحوش. يا كهلا بدأ يخرف تدبر امرک.
بعض الخطايا لا ينفع معها الاستغفار ولا تزيلها الکفاره. شرع بذکاء
ينسج مشروعه. وقد استعان بخلف واولاد صکر، اعطى کلا منهم مغزلا،
دون الافصاح عن ما هية النسيج. صيرهم على استعداد لتنفيذ الفكرة
لحظة نضوجها

* * *

بادر حسين يسأل سعدونا في ديوان الصبح: هل بوسع اهل البترا ان
يستغنوا عن ماء المضخه ويعتمدوا السیح لري ارضهم؟
استشاط سعدون غضبا، ورد بعصیية، مبعثها الخوف من نمو هذه
الفكرة في اذهان الفلاحين:
- شنهي هیه؟ لعب زعاطيط! لعبنا لعبنا بطلنا بطلنا، عيب علیکم

استحووا!

اجابه حسين بسخرية لازعة:

- چنها اترید ارنب ارنب اخذ ارنب، اترید غزال اخذ ارنب.

ایقن سعدون ان صاحبه سیرد علی کل کلمة قاسیة بأقسی منها، غادر المضیف حانقا مرددا:

- موش عرب ناموس. عرب دنبوس.

بعد قليل نهض حسین يتمتم بهوسة (الماکدرها ایغص بیها) واتخذ طریقہ مباشرة الى بیت خلف واولاد صگر.

تهامس اهل القرية: (حسین وخلف واولاد صگر طيحو بيوتهم ايريدون ايشيلون)، وهرع الرجال والنساء وتجمعوا حول البيوت، ثم شرعوا يساعدون في ترتيب الامتعة ولف البيوت وتحميلها على الدواب، خيم على القرية جو عاطفي. بكت النساء، ثم الرجال. لم يحتمل حسین مشهد الوداع. نهر (خلف) بود:

- خایب انتہ اشمالک بغیر کلب.. چا احنا رایحین لجزیرة الواق واق؟ کلها کطفة محجال.. نازلین بصفحة البترا من شرک.

استبشر سعدون برحيل حسین وخلف فقد كانا سببا في كثير من المنغصات. كلما طاب له ان يتحدث عن الماضي، بشيء من المبالغة، تصدى له واحد منهما يصحح الرواية ويكذب بعض الاحداث المزعومة، وكانا يصران على مخاطبته بالاسم المجرد دون دعوات بطول العمر ويتجنبان الفاظ (محفوظ وعونک. وطویل العمر) فكانا اشبه بنصب تذكاري يشده الى الماضي الذي يريد قطع الصلة به، او تصويره على نحو آخر، وفکر

سعدون: اما مسألة الخطوبة فلا اظنه يفكر بها. ان هي الا مزحة طاح بها
لساني في ساعة من ساعات السمر ايام زمان وهو ليس غبيا الى هذا
الحد فيتجاهل تحول الاحوال وعدم صلاحية ناصر لحسنة.

* * *

رجع ناصر الى القرية يسوق ثلاثة ثيران، بعد افراغ حمولتها في الدار
الجديدة، كانت الشمس على وشك المغيب، لم يعترض ابوه على مبيته في
القرية، مطمئنا نفسه: فليمض ليلته هناك. ولتكن الليلة الاخيرة يقضيها مع
اصحابه عبيد المنتاز واولاد الخضارة يهونون عليه مصابه، ولعله يتنسم
اخبارها ومن يدريني فقد يلمحها فما زال ابليس في خدمة العشاق. لكنها
لن تكون الليلة الخطرة. على كل حال. المهم انني ابعدت الزيت عن النار.
وبدا رحيلي مقبولا عند الناس فقد شهد الديوان كله شجاري مع سعدون
بسبب مياه المضخة (واليدري يدري والمايدري غضبة عدس).

اعترف ناصر لنفسه، انه يهلوس حين ضرب الثور وخاطبه بصوت
مسموع:

- هم صرت مثل ثور الكاغ ايجرج راسه بالسنة مره. الحك ربعك. انعل
ابوك لابو كل ثور ما ايجرج راسه.

ثم قال لنفسه:

- بدأت اخطرف. اي ثور هذا الذي أعقد الآمال على قرنه..؟

(حسبتك بجرن الثور)، قلت عن الامر المستحيل وما ان قضيتي غدت
في قرن الثور. تذكر قول ابيه: (اسمع يا خلف هاي الودام مثل الثيران
الثلثة) احطن بالاسد فاستشعر الخطر. استعمل عقله. طلب التشاور مع

الثيران على انفراد. اخذ الاحمر فضريه، ضربة اسد. وعاد للادبس وقال
لنختلي بعض الوقت نبحت المشكل العويص.. وضربة اسد.. وساعتها قال
الابيض. لقد مت مذ مات زميلي الاحمر. وكان علي ان ادرك لقد مت مذ
نصبت المضخة. بدأت تهلوس ياثور، بدأت تهلوس يا ثور الارض. اي شيء
كان بمقدورك فعله؟ حتى الآن بوسعي ان افعل واحد الزلزال وامرغ
وجوههم بالوحل وماذا عن وجه ابيك وحتى وجه خلف؟ هذه مصيبتني
ياثور يا ثلاثة ثيران قضى عليهم الاسد حين فرقهم. والى اي نقطة بلغ
تفكيرك الذي وعدتها بأنه لن يكف لحظة. هل الرحيل الى طرف البترا
الشرقي اخر ما بلغه التفكير؟ لم يبق عند الثور فضلة قوة تدفعك الى ابعد
من هورة البترا (بت سعدون نهبت. سعدون بته نهبت. نهبت بت سعدون).
لكن البئر مشترك ولن يتسم سعدون وحده. لا تلقى السم في بئر
العشيرة. ما اعظم الاسد حين جمع القوة والتفكير وقضى على الثيران -
اتحب الاسد يا ثور! عن اي ثور واي اسد تتحدث يا مشتت الفكر؟
والسفينة تحمل اهلك كذلك وخرقها لا يغرق سعدون وحده.

* * *

رفعت اعمدة البيوت فانتصب عند نهاية منحدر التل الذي يفصل هورة
البترا عن ديمة خلف. كان بيت حسين الى الشمال وبيت اولاد صكر الى
الجنوب وفي الوسط بيت خلف، الذي اتخذوه مجمعا للسم. لاحظ حسين
آثار الاغتراب على وجوه الجميع. كان خلف اكثرهم تأثرا، احس وكأنه
غرس اقتلع من منبته او كسمكة ابعدت عن الماء، وصار يحاور نفسه: يا
قريتنا الحبيبه ما احلى ضجيجك على الرغم من مساوي سعدون وتحوله

من حال الى حال، وعلى الرغم من تكاثر المنافقين والمتاجرين بالاشاعات والفضائح، لم يسبق لي الابتعاد عن القرية، وعلى اية حال فليست سوى شيئاً رمزياً لايحاط بتحديد. والا فالقرية بالنسبة لي: حسين واولاد صغر ومن قبل سعدون. اما غافل فلا يتذكره المرء الا حين يخاطبه.

اخذ حسين على نفسه تبديد الوحشة، فكان يتكلم بصوت عال ويوزع الضحكات بين البيوت. وراح يقرأ منتخبات من شعر ثورة العشرين، متصنعا الحماس ليخرج خلفا من شرقة الخمول الذي بدا عليه. ادرك ان استجابته كانت محدودة لهذا اللون من الشعر. تذكر ولعه بشعر (اشجيل ومطعوج) فأختار مطالعا يتناوبه الشاعران ينظمان عليه التناوب والتفاخر بعشيرتيهما:

كومي هلهلي يا ام جف المحنا

واجدم لج صبايا وين المجنأ

التفت خلف صوب امرأته، وكانت تجلس في كوسر البيت، ولم يوضع الستار القاطع بعد، وردد المقطع مبتسما يا ام جف المحنا - وكأنه يدعوها للمشاركة - استبشر حسين بأنطلاقة وانشد لمطعوج:

اودي ست روايا امصخحات وسود لعند اجوادنا الغادي وابن

هدهود

ينثر فوكك الازركك كام ابن عبود مامش يوم لنزوله

يصبحنه

اهتز خلف حماسا، ثم ضحك وقرأ مقطعا من البيت على هذا النحو:

- لعند اجوادنا الغادي وابو البيه!

ثم قرأ حسين رد اشجيل على خصمه:

ننثر فوكك الازركك موش متعذرين وصاحبكم تفكنا مثل ردي

البين

طردنا كم على اضحية مكديومين وظل مطروحكم نسوان

شالنة

واتى حسين على كل ما يحفظ للشاعرين، فرق مزاج خلف واستطاب

الجلسة. قال وهو يسحب نفسا من لفيفة تبغه:

- كلها اتهون الا الشاوردي!

ثم اوضح: ان كل شيء في دارنا الجديدة سيكون على ما يرام، ولكن

شرب القهوة ومجلسها لا يعوض. اجابه حسين على الفور:

- محسوبه. محسوبه فكرت بالسالفه وعن جريب اشتري الكم دله وحب

ونشرب ونسولف، وما دام كهوه وتتن كل الامور اتهون!

وحين استراح حسين الى وسادته تذكر ولده بأشفاق وفكر: سأجبر

خاطره وافعل كل ما هو ممكن لتخفيف صدمته. صحيح انها صغيرة السن

ولكن ما اكثر الفتيات في سنها بل اقل منها تزوجن وانجن وانها جميلة

ومؤدبة وكفاها فخرا انها بنت البطل صكر ولها اخوة طيبون. وفي ليلة

زفاف حسنة بنت سعدون الى ابن صلال تزف نعنانه بنت صكر الى

ناصر. ولا يخفى على سعدون ما في هذا الزواج من معنى.

ايقت حسين زوجته واسر لها بما دار في خلده. كانت تفكر هي الاخرى

بخطبة ورده بنت اخيها لكن ما يعرضه زوجها يحمل في ثناياه كل اسباب

الاقناع فحاورت نفسها بسرور: لقد بدأت تتعلم الحياكة على يدي وتتقدم

في هذا الفن بسرعة ملفتة للنظر وهي جميلة ومؤدبة وصغر سنها فضيلة
وليس عيبا ولن يضيع تعبى سدى كما ضاع مع حسنة.

* * *

لاحظ عبيد المنتاز اثر الحزن والكآبة على وجه ناصر. حاول التسرية عنه
ببضع كلمات. سرعان ما ادرك عقم مفعولها وقال لنفسه: ما قيمة ان تعزي
المفجوع بعزيز وتعظه بالقول (كلنا لها لدرب) هل تخفف هذه الكلمات وزن
نرة من حزنه؟ ثم انعطف بالحديث الى جوهره: اسمع. انت محظوظ لدرجة
احسدك عليها تهيأت كل اسباب الاستمتاع بليلة الوداع. ابوها مدعو عند
صلال يبيت هناك وكذلك ولده فالج. واختها ذهبت لزيارة خالتها واللييلة
ليلة الوداع وهي منفردة بحجرتها سآخبر صالحة بوجودك لتبلغها ولا
اظنك تجهل قول الشاعر (خذ حبة التوديع حذر الكلاده..) استشعر لذعة
غيره من كلمات عبيد تخيله يرفع القلادة ليعين مكان القبلة. متمليا نحرها
ود لو يزجره: كف عن العبث بنحرها

ما لبث ان زجر نفسه ساخرا: انها ليست سوى كلمات مبعثها الاشفاق
والمشاركة الوجدانية. وتهب مذعورا من فرط غيرة لانه يذكرك بأن قبلة
الوداع تحت القلادة.. يا ثورا يحمل العكال بدل الارض ما الذي تفعله حين
تمسي بين يدي الكلب الاجرب ابن صلال يعبث بمفاتنها وما الذي انت
صانعه وهو يعريها؟

انتفض لهذا خاطر الوقح وحرك رأسه نفيا فتسأل عبيد مدهوشا
كيف يرفض صاحبه لقاء الوداع؟ تنبه ناصر الى نفسه وصحح لصديقه:

- لا هيچ ما عنيت شي بهزة راسي!

غادرتها صالحة، فأجتهدت لجمع شتات فكرها وجدت نفسها متعلقة بلوح سفينة غارقة لا تدري ايان يستقر، وتساءلت: ولماذا اكون جسرا يعبر عليه لمغرم من صلال او كبش فداء الصلح؟ لئن تعمد قلبي ووضعه في اساس بناء علاقته بصالل فلا تعمد تمرغ جبهته بوحل العار. وهكذا لا حول ولا قوة لي فمن ارادة ابي الى ارادة ناصر قد يرفض وقد يرضى وانت موضع المساومة يا تعسة.. ذاك حريص على مغرم وهذا حريص على سمعة.. يا ايها القلب المجنون سلمتك قياده، فلانتظر ما هو صانعه. لكل قدره، مستسلم لما يصنع.. وقدري انت يا ناصر. ثم استدركت وقالت لنفسها مشجعة: وعلى اية حال لا بد لي من عمل شيء...

* * *

وقف ناصر ومعه عبيد المنتاز جوار الباب خبط عليه برفق، ففتح على عجل. لم تظله بعباءتها، التصق بها وهما في الطريق الى حجرتها تنسم عطرا ساحرا لم يستنشقه من قبل. دخل حجرتها اول مرة، لم يتبين موطن قدمه، اول وهلة. اقتادته الى فراش وثير. ارتميا متعانقين، ولما تحرك كفه فوق خصرها خيل اليه ان شيئا من نسيج الثوب، الناعم جدا، يعلق بأصابعه. عرف لحظتها كم هي خشنة أصابعه. مرر ظاهر كفه على الثوب معجبا بنعومته، حسبته يتسأل بصمت. اجابت بصوت متهدج:

- هذا نيشان العرس.. جابوه اليوم!

اطل الخاطر الوقح: ستكون بين يدي الكلب الاجرب ابن صلال يعبث بمفاتنها.. وقد يعريها بأي حق يعريها انتفض كالمصعوق. انتفض عليها كالصقر ينشب مخالفه في الحبارى. ادركت انها ليست لحظات تساؤل

واجوبة. ارجأت السؤال عن القرار الحاسم. خفت الظلمة امام ناظره. تبين ملامح وجهها تراءى له ان بريقا يشع في عينيها شاركتة جهد الضم والعناق بقدر مساو لما يبذل. انسابت اصابعه فوق ثوبها (الچيناوي) فوشوش الثوب تحت كفه الخشنة. شعر كأن شخصا ما يعيره: كف فلاح خشنة لا تنزلق فوق هذا النسيج الناعم. ان مخمله يعلق بأصابعك.. خلق هذا النسيج والجسد البض الذي تحته لاصابع المترفين. اطل الخاطر الوقح: وستكون بين يدي الكلب الاجرب ابن صلال.. وتعريها تعريها يا كلب لن ادعك تفعل هذا انتفض متوحشا امسك ذيل الثوب وسحبه بعنف. انزلق الثوب على جسمها الممتلئ. لم يترك لها فرصة للمقاومة: انا الذي اعريها ايها الكلب الاجرب. وما هي بين يدي. تبدى جسمها بضاً رغم الظلمة. تحررت من خجل وخوف على نحو مفاجئ كما تحررت من ثوبها: وساقطف الثمر الناضج ايها الكلب الاجرب. الثمر الشهوي ولك الفضلة. نبت لهما جناحان، فحلقا الى حيث الوان الطيف الشمسي وفي بحر من البخور تتحرك الاجنحة من تلقاء نفسها ليس ثمة غبار ولا عواء وعاظ. ارتعشت مثل سمكة يمسكها الصياد وسط الماء. كان يزفر انفاسه من منخريه كحصان اجهده العدو. ندت أهة. همهمت كالمستغيث في نومه. تخدرا بدبيب لذيد. احسا وكأئن العظام في جسديهما تستحيل الى عجيته لدنة. اختلطت الزوايا بالخطوط وتلاشت الالوان. ثم تحولت الظلمة الى الوان ثوبها الجيناوي. اطبقت جفניה على شريحة الوان زاهية لا عد لها وساءلت نفسها: أهذا الذي تحسب العذراء له الف حساب؟ اهي اللحظة التي يحطنها بما يشبه قرون العفاريت فتمتلئ قلوب العذارى رعباً من ذلك

المجهول؟ ان عضه البرغوث اكثر ايلاما يا سخيقات. كان ينبغي تذوق هذا
في (كلة) العرس والزغاريد تطوف حول البيت.. والبنادق تلعلع في الفضاء.
وعلى ضوء فانوس العرس اتملى وجهك بلا وجل. هكذا ارادوها انفك
راغم بالتراب يا من أردت المتاجرة بي.

احتضنته بكل قوتها وتوسدت ذراعه. سمع ناصر خطبا رقيقا على
الباب. وتناهى صوت عبيد قرب الباب (احح احح) تذكر الاشارة بينهما
ساعة يستجد جديد جمع ثيابه. لبس على عجل. ولما تزل مستلقية على
فراشها ألقى نظرة عجلية قبل مغادرته الحجرة.

كان جسمها في الظلمة يذكره بالحليب وقد امتلأ به قدره. مرة سأل
امه: ولكن لماذا لاتنعكس النجوم في قدر الحليب كما تنعكس على الماء؟
طالعه خيط من نور الفجر: احقا ما ارى؟ انقضى الليل بهذه السرعة؟ فطن
الى صياح الديكة وفي مثل هذا الوقت يردد أبوه:

- ياربى حسن العاقبة. الفى صديقه عند الباب. عاجله بلازمة (خلف
الدواح): بلابوش دنيا

تنشق ملء رئتيه، نسمة الصباح الباردة وردد في سره باخلاص: ياربى
حسن العاقبة. ما انريد غير حسن العاقبة.

* * *

اجاب سويلم الصكر نيابة عن اخويه:

- ما يغلا عليك شي يا ابو ناصر.. التريده ايصير..

ثم استدرك يبرر تحفظاته: في هذا الموسم كما ترى زرعنا ضعف
مساحة العام الاول. وليس لنا مساعد على جمع الزرع سوى نعناعة،

والفلاح لا يمكنه الاستغناء عن مشاركة المرأة له في الحقل. وانت تعلم بحال امنا المريضة. لذا نقترح تأجيل الزواج الى ما بعد الحصاد.

قطع عليه حسين طريق المناقشة حين قرر: لابد من زفاف نعناعة قبل الحصاد، وسوف نعفيها من كل عمل طيلة ايام الحصاد لتجمع زرعكم. لم يعد بوسع سويلم الاعتراض. لكنه تسائل وكأنه يفكر بصوت مسموع:

- چا شنهو الداعي للعجلة؟

- أنه اعرف شي وانتم تعرفون شي.

وهمست ام ناصر لولدها:

- ابوك ايكول على عناد سعدون بليلة اللي تنزف حسنة يصير عرس

ناصر!

استبد به التردد لبعض الوقت. وجد في معاندة سعدون بعض السلوى.

لكن صورة حسنة تطل في كل لحظة، معاتبة مستعطفة، فيسألها: -

ولكن ما الذي أستطيع فعله يا حسنة! والحل الذي تقترحينه فوق طاقتي.

لن اكون سببا في تلويث سمعة العشيرة. ب (النهيه).. وماذا لو رفضت

الزواج بنعناعة؟ وقد شرع صلال بأجراءات الزواج؟ ومع ذلك لن اقطع

خيوط الرجاء.. حتى بعد الزواج.. وما الذي اجنيه من مخالفة ابي؟ وما

الذي تفيدينه من تأجيل زواجي؟ دقق النظر في وجه نعناعة، صبيحة اليوم

التالي، وتملأ قامتها بعين الناقد المتفحص. وجدها فتاة وسيمة، لايعيبها

سوى صغر سنها. افضى لاه بهذه الملاحظة. فردت عليه باسمه:

- لا تهتم. البنية بحضن الرجال ايصير يومها بشهر.

وقال خلف حين ابلغ الخبر:

- يا نعمتك يا ربي، دهيتنا على ديبستنا!

شرع حسين يهيئ مستلزمات العرس، وقد اعفاه اولاد صغر من مهر نعناعة، معتبرين الزواج (كصه بگصه) فمثلا يتكفون تجهيز شقيقتهم، سيقوم بتجهيز ابنته.

بعثر حسين ثمن الثور والبقرة، حتى عاتبه خلف:

- كمت تصرف بغير وجع كلب.. چنك ما ضام للصبيان اچعاب!

فلقد اشترى رزا من النوع الجيد، وكانت الكمية اكثر مما يحتاجه عشاء ليلة الزفة. وملا خرجا كبيرا بالخلال الممتاز. انفق على سكاير المزين مبلغا لا يستهان به. هذا الى جانب بعض الحاجيات التي تعتبر في عداد الكماليات، مثل اللميات النفطية وبعض الاواني المعدنية، ولكل حاجة ثمنها، فحتى الدنايك الثلاثة دفع عنها نقودا معدودة، وكان يصدر في هذا عن شعور بمعاندة سعدون: اذا ما حضر ليلة الزفة سيجذب حسرة حقيقية، اعرفه طول عمره أسير المظاهر. ما رأى قطعة ملابس عنده غيره الا تمنّاها، وما اعجب بمنطق انسان الا وتحسر، ليته يملك مثل منطق. يتميز غيضا اذا سمع احدا يثني على احد. لكن ماهو اهم من ذلك ان يتعري صلال على حقيقتة امام عينيه ويعرف ماذا يضمّر وراء هذا القرب وساعتها يعرض اصابع الندم -ولات ساعة مندم -ويقول ياليتني زوجت حسنة لابن حسين واحتفظت بتلك العلاقة الطاهرة.

ويوم بدأت مظاهر الفرح والتطريب في بيت صلال، اوحى حسين لحمزه بن خلف وولده نعمة، الذي تعارفوا على تسميته مازحين (ملا نعمة) بأن يباشرا قرع الدنايك ويستعينان بأصدقائهما في القرية.

كان ذلك مساء الاحد، وموعد الزفة مساء الخميس. ومنذ صباح الثلاثاء احتجبت نعانة واعفيت من اشغال البيت.

استشار حسين خلفا حول قضية (المومن) الذي يعقد القران، وقد تأكد لهما زهاب ملا محسن الى عرس ابن صلال. فأقترح خلف ان يجري العقد (ملا نعمة) بعد ان تأكد من اتقانه لصيغة العقد. رفض حسين هذا العرض، مبررا رفضه بالسبب التالي: سيقولون بخل حسين (بريية) المومن وحمل ولده على عقد قران اخيه.. لن افعلها ابدا (الشايل الكاره ما يضهده العود) وفضل استدعاء علي بن ملا محسن.

تطوع خلف للذهاب بنفسه الى قرية سعدون ليدعوه مع ابناء القرية على العشاء، وليحضر ابن ملا محسن. لعقد القران. اعرب حسين عن شكه بأستجابة سعدون للدعوة. فأنكر خلف سوء الظن الزائد عن اللزوم وقال كالمعاتب:

- ابن مهلهل ذهب تيزاب. اشلون ما راد ايصير ما يزنجر!

وحين رجع من القرية قال لحسين بأستسلام:

- ظنك بمجانة.. صاحبنا يشتل فوك فوك. كال اودي فالح بمجانى أنه

مالي خلگك بلابوش دنيا

وكرر خلف لفظ (خلگ) بصيغ متعددة سخرا من سعدون وانكارا لتعالیه

على اصدقائه وابناء عمومته:

- مالي خواک.. مالي خالک.. مالي خلیک بلابوش خلگ!

* * *

شيد حسين صريفة منفردة للعروس، رفع الستار القاطع بين الربعة

والقسم المخصص للعائلة، وجعل البيت كله مضيافا، ليستقبل المدعوين دون مضايقة. وكان على يقين من ان احدا من اهل القرية لن يذهب الى عرس ابن صلال، فذهاب اقرباء العروس وابناء عشيرتها الى حفل زفاف العريس المنتسب لعشيرة اخرى مدعاة للخجل ولا يقدم عليه الا الاطفال واولئك الذين لا يعيرون العرف أدنى اهتمام.

ومع غروب الشمس زفت نعناعة الى صريفتها وارتفعت الهلاهل تتخللها اطلاقات نارية وقرعت الدنايك، فأنطلق خلف على سجيته، امسك عصاه من وسطها واستدار وسط الديوان. حاول ان يحرك جذعه على ايقاع الدنايك ولهوج صائحا:

- حسين.. حسين. ثواب لبوك علمني بهذا البيت.. اشلون اشلون من تطب للسوكك صبحه؟

انشده حسين وفي صوته رنة مرح:

من تطب للسوكك صبحه صابت الدلال فرحه

جيت اعاملها الوكحه غطت الروبه بطبكها

داده خيعونه الشبگها

وراح خلف يركل الارض بقدم واحدة، مثيرا للغبار، حتى تشكلت منه سحابة في سماء البيت. وقد امال جذعه جانبا وهو يردد بانفعال:

- داده خيعونه الشبگها داده خيعونه الشبگها

فتحرر الشباب من بقايا حرجهم. وقرعت الدنايك وغنى المغنون فأعجب خلف بغناء احدهم وصاح من طرب:

- ايه بويه ايه.. ولكم هذا موش غنى.. هذا اتفلش! وروح مهلهل اتفلش!

بلا بوش غنا

كان حسين يتناول مزهوا بحفل زفاف ابنه، فكل شيء قد أعد بصورة ترفع الرأس فخارا: الخروف الذي اقتاده خلف عنوة من شياه اخيه جودة (ابو كصتين) والعجل سمين ضخم بما فيه الكفاية، والرز كثير وهو من النوع الفاخر، ويجلس ناصر وسط الديوان كالصقر على مرقاه، مخضوب الكفين، امامه خنجر العرس، لفت قبضته بمسبحة حسينية، والقهوة تدور بلا انقطاع وسكاير المزين - التي اسمها جودة اصابع العروس - توزع بسخاء: انه حفل رائع لا ينقصه سوى وجود سعدون ليرى بأمر عينيه هذه الأبهة.

وصاح المصوت، بعد العشاء: شوباش شوباش فتوالى المدعوون لدفع العطاء. وكان اكبر مبلغ دفع من يد فالح بن سعدون.

تولى خلف استدعاء (الملا) الصغير، علي بن ملا محسن، الى صريفة العروس، ليأخذ اقرارها بقبول ناصر زوجها لها، وتوكيله نيابة عنها ليجري العقد مع العريس. شرع الملا الصغير يتلو صيغة العقد، وكرر استجوابها ثلاثا - وذلك امر لازم فالفتاة لا تجيب بنعم عند اول سوال - وكلما تمنعت كان ذلك ادعى لتعلق الزوج بها في قادم الايام. أجابت بعد السؤال الثالث، بصوت تمازجه الرهبة ويثقله حياء عذري:

- نعم وننته وكيلى...

كرر الملا الصغير تلاوة الصيغة مجددا وسألها:

- ان قبلت قولى نعم انت وكيلى؟

اجابت:

- نعم وننته وكيلى.

وعاود التلاوة مرة اخرى بسبب من عدم تلفظها الاقرار باللغة الفصحى.
ففنذ صبر خلف وقال له بنبرة حادة:

- عمى هيه شنهى؟ بيش تطلبها چا غير هالتگول نعم وننته وكيلى؟
رد الملا الصغير بحذلقه: ينبغى ان يكون اللفظ سليما فتقول ((نعم وانت
وكيلى)) وليس ((نعم وانته وكيلى)).

وبعد جهد مضمّن نطقت على نحو مقارب لما يريد وغادرا صريفة
العروس. انتظر الملا فى كوسر البيت ريثما يعود خلف بالعريس..
تحنبل الملا الصغير مع ناصر، فأشترط تلفظ الكلمات بحركاتها
وسكناتها، مصغيا الى مخارج الحروف، مصرا على سماع حرف (القاف)
مجلجلا رنانا لا تمازجه خنة اوغنة من حرف (الغين) فى لفظة (قبلت)
فخرج خلف عن صبره وخاطب الملا الصغير بنفس قصير:

- عمى هيه شنهى؟ لا اتسويها جرجره.. البنيه راضيه والولد راضى،
هالعجن شنهو لزومه؟ توتو.. قبلتوا بلابوش قبلتوا!!!

تهياً عدد من الشباب، كل يمسك (عگاله) بيده، محاولين ضرب العريس،
لحظة قيامه، فأستبسل اثنان من اصدقائه، ودافعوا عنه بشهامة، حتى
اوصلاه (الصريفة) سالما

فضج المكان بالضحك وصخب الشباب -لعلها المرة الاولى التى يزف
بها عريس دون ان يوجع ظهره بضرب العگل.

انسحبت النساء من صريفة العروس، حالما دخل ناصر، وقبل ان يستقر
فى مجلسه رفع (البويمه) عن وجهها، فلاح له وضاء جميلا قبلها فى

الجبين على استحياء وقال العبارة التقليدية:

- الكمرا جدامج والظلمه وراج.

تملى وجهها. كان ينضح انوثة وحياء. بدت في زينتها وثياب العرس اكبر مما هي. تذكر قولاً شائعاً (في ليلة العرس ويوم العيد تستعير الفتاة جمالا من سبعة جيران لتضيفه الى جمالها). ارتعشت خوفا حين داعبها. اشفق عليها وارجأ ما كان ينبغي انجازه، لمفاخرة الاقران، حين يواجههم بعد قليل. شملته موجة سرور وقال لنفسه: لك الحمد ياربي. انها صغيرة ولم تبلغ سن العشق والعبث بعد. والا فما يدريني أي كف عبثت بمفاتنها. اما انت ايها الكلب الاجرب فأنعم بالقشور الليلة. ولقد أتيت على اللباب وقطفت زهرة الشباب، لو علم طويل العمر بما بذلت من جهد لاحفظ له كرامته لقبل التراب تحت اقدامي: لو طأوعتها لكان اليوم يمزج الهوان والمذلة. ما اجمل دعاك يا ابي: ربي حسن العاقبة.

كانت ام العروس تدور حول الكوخ، وتخطر في الفناء المجاور مثل قطاة ضلت افراخها وهمس حمزة بأذن عبيد المنتاز حين لاحظ دوران ام العروس:

- صدك لو كالأوا: مثل ام العروس فارغه مشغوله!

وطال انتظار اصدقاء العريس، فاقترب عبيد من الصريفة وتنح (احح احح) تذكر ناصر انه سمع نحنحة من قبل على هذا النحو، في مناسبة غير عادية. هتف عبيد:

- بلبوش دنيا! سويتها اطواله الوايم اتريد تمشي. متعلم لما ايصايحونك!!

ادرك ناصر انه ليس حر التصرف في وقته، فالمدعوون لا يغادرون بيت العريس الا بعد خروجه من عش العرس واعلانه ما يدعو لفخر اهل العروسين على حد سواء. قرر ان يكذب كذبة بيضاء فرد على تساؤلات اصدقائه وهم يعانقونه:

- طيرت الحمل!

ولما دخل الربعة واستقبله الحاضرون للتهنئة معانقين. سارع بعضهم الى التسلل خارج الربعة، وكان من بينهم حسين وخلف. عمد احد الشبان فاطفاً (اللمبة)، وكان ذلك ايذاناً بضرب (العگل) دون تمييز. اختلط الصراخ بالضحك ولم ينج من الضرب الا اولئك الذين هربوا قبل ان يسود الظلام. اشعلت (اللمبة) ثانية ورجع حسين وخلف ومن اختبأ معهما، فطلب بعض الحاضرين ان يرقص حسين وخلف تعويضاً عن نجاتهما من ضرب العگل.

قرعت الدنابك، تخاصر الكهلان، ولعبا چوبية، انضم اليهما عدد من الشباب، فلم يوفقوا لاجادة ذلك النوع القديم من الجوبية الذي يحسنه خلف وحسين.

أشار احدثهم على ناصر ان يعود الى عروسه، وقد اصبح في حل من المدعوين، تفرقت النساء ثانية حالما دخل الصريفة بعد ان ودعن العروس وعريسها بحزمة متناغمة من الهلاهل.

خلع يشماغه وعكاله وعباعته وسترته. اخذ عروسه بين يديه ملاطفاً. شرع يداعبها برفق عله يحررها من الخوف تذكر قولاً: لقد نسيت اسم الشخص الذي قال ان ليلة العرس تاج يضعه الشاب على رأسه وانها ليلة

واحدة في العمر لن تتكرر ابدا حتى وان تعددت الزوجات وقال ذلك الشخص لقد نسيت اسمه تماما: ان ادق تفاصيل ليلة العرس حتى تلك الحركات التي تصدر عفوا تظل عالقة في الذهن كنقش على حجر، عصابة ابدا على سلطان النسيان، وقال ذلك الشخص الذي نسيت اسمه. قال؛ لقد نسيت ما قال بهذا الصدد واحسبه قولاً له اهمية خاصة. دعك منه..

اقتحمت عليه خلوته مع عروسه صورة حسنة: هل هي منسجمة معه وما الذي يفعله الكلب الاجرب الآن. هل استجابت لحركاته الكريهة؟ الكريهة؟ وهل رأيت حركاته، لاتخطرف ودع الثور، حذار ان يأخذك الثور بحكايته السخيفة. قرر شباب القرية ان لا يضيعوا فرصة للاستمتاع بهذه الليلة الربيعية القمرية. فبدأوا فصلا جديدا وفي هدأة الليل تعانقت اصوات الدنابت متناهية من بيت صلال حاول بعضهم ان يعرض بصلال لانه جاء ببديعة، فأستأجر كاولية لاقامة الفرح. حال حسين دون تشعب الحديث وقال:

- بويه مالنا ومال السلاطين.

وقف حمزه بن خلف خارج البيت ونده (الملا) الصغير، نهض علي بن ملا محسن مؤملا من وراء هذه الدعوة هدية خاصة من اهل العريس. فوجئ بثور ادبس وبقرة صفراء يمسكهما نعمه بن حسين. امره حمزه بلهجة جادة:

- شيخنا من فضلك اكطع مهر بت الحلال على هذا ابن الحمولة!

بهت الملا الصغير. تصنع ضحكة فاترة، دارى بها خبيته، وقال يخاطب زميله السابق في الكتاب:

- يمعودُ نعمه - عيب منك الوادم!
عاجله حمزه بضربة عغال موجهة وامره قائلا:
- العباس كفيلك - اقطع عليك العغال كون ما تملج الصفرا على
الاديس!
لم تشفع له زمالة نعمه، ولا تودده لحمزة، وجد نفسه في النهاية مضطرا
لاطلاق صيحة استغاثة. ادركه المدعوون وخلصوه.
وكان ذلك مسك ختام الحفل.

الفصل السابع

صاح سعدون، بلهجة تهديد، وكلامه موجه لكل الحاضرين:

- عرب دنبوس -موش عرب ناموس!

سحب نفسا من سكارته. ثم عاود التفكير ومحاورة نفسه، وكأنه يحرض نفسه على التماذي في مسلكه الجديد: (چنا وچنينا) كما يفكر ويتصرف خلف (ما چنك شفت حاكم انگریزي وگعدت وي قيمقام..) التقت عيناه عبر باب المضيف بحصانه المدلل (نجيمان) وكان يستدير حول مربطه. فأستبدت به الصورة، وقال يخاطب نفسه: كأنك هذا الحصان المربوط يدور حول (الخيه) لا يبتعد عن مدى سلسلته شبرا واحدا وانت يا مغفل يا سعدون تتحرك وكأن العشييرة (خيه) لا تبتعد عن اهتماماتها شبرا واحدا.. قال الخمس.. وقالت (الفصلية)، لا تريد ان تتحرك ابعد من هذا المدى. تتوهم ان الدنيا تنتظرك.. تستأذنك في حركتها ما هو الخمس وما هي حصتي من الفصلية؟ (الف عصفور ما تترس جدر). ولم تسأل نفسك: من نصب لك المضخه؟ ومن يعدك بتسجيل الارض ملكا صرفا؟ اجب يامغفل.. من نصب المضخه؟ اهم عشيرتك ام الانگيز؟ ومن يقدر على تسجيل الارض بأسمك ملكا صرفا؟

وفرحت بخمس السرقة ولا تدري ان الانگيز -الحكومة -لا يرضون بسلب مسافر على الطريق العام.. وتلجلجت امام معاون الشرطة ولكن جزا الله صلالا الف خير.. تمكن من تسوية القضية مع مأمور المركز. اما انت فلا تزال تدور حول (الخيه).. غمرت المياه طريق السيارات الجديد بين الناصرية والكوت.. فأكتفيت بالعتاب: (اخوكم.. عيب.. لا تجيني حجاية ناگمه) ما هكذا يا مربوط.. تعاتبهم بكلمات رقيقة.. نسيت وضع ابهامك

تتعهد بسلامة الطريق من الغرق وصيانة القناطر من عبث العابثين.. وإذا لم (تشلع الخية) فقد يجئ المفتش الانكليزي بنفسه ويجد الطريق مغمورا بمياه المضخة فيقرر:

(مكيته ماكو.. مكيته فنش.. سعدون فنش.. مكيته ينشلع.. كاع ماكو سعدون فنش) وتعود ثانية تتمسح بأذيال العشيرة (رد تارس صمعه بخصيانه!) وتتلمض لخمس سرقة ولطعة من فصلية او فضلة من ضرائب الكوده.. و (خشمك اذنك) لله درك يا صلال: (بدل بدل.. راوهم عين الحمرا هذوله موش عرب ناموس هذوله عرب دنبوس..)، رفع صوته يأمر عبيدا المنتاز.

- من عين باجر شغلك ماي المكيته. اتسويه رشن مضبوط، والعليهن كلهن، تحفظ الجاده من الغريج لو طارت عليها نقطة ماي انت حكي.. اطلع بيك نار الله كلها احبسك، اخلي حديدك من..
ابتسم عبيد المنتاز واجاب:
- امرك امحفوظ.

* * *

بكر عبيد لتأدية عمله الجديد، كما ينبغي، وسار مع (المحمولة) يراقبها بدقة.. فلمح على البعد، تحت اشعة الشمس، بريقا يخطف الابصار يقترب من طريق السيارات. اسرع ناحيته، ثم هرول، فأستقبله لسان الماء يزحف كالانفعى. رأى صاحب (الرشن) منهمكا يجاهد بأقصى طاقته للسيطرة على الثغرة التي حدثت في المحمole. ركض عبيد نحوه. وجد الثغرة كبيرة وخطرة.. كان عرق الفلاح يتصبب بغزارة، فيختلط برذاذ الماء المتناثر من

لسان المسحاة. ركب عبيدا الخوف من عواقب الامور، وهو في اليوم الاول من وظيفته الجديدة، فاندفع معاتبا، ثم شاتما ولم يرد عليه الفلاح بشيء، ولم يتوقف عن عمله. غضب عبيد من استهانة الفلاح به، واعراضه عنه. فانطلقت الشتائم من فمه مثل رذاذ الماء الذي يرشق وجه الفلاح من لسان مسحاته. أثر الفلاح ان لا يضيع دقيقة من الوقت في عبث الكلام والجدل، فما لم تسند (شلة) الطين اختها، جرفتها المياه المتحدرة. لم يجد عبيد في الشتائم متنفسا عن غيظه.. تقدم نحو الفلاح خطوة، وبصق في وجهه..

كف الفلاح عن العمل. استقام في وقفته، مستندا على المسحاة. استحال اعياءه الى غضب وحشي. اقتلع قدميه من الطين. وجه لسان مسحاته الى صدر عبيد.. ثم خطا نحوه مرتعدا من فرط انفعال. كان يطلق زفيرا عاليا من منخرية.. فأدرك عبيد دنو الخطر.. تراجع على عجل. اندفع الفلاح نحوه، يردد بكلمات غير مفهومة. ميز عبيد من بينها عبارة واحدة: (لاراحة ولا كرامه! عليمن خايف بعد..)

كان هديره ينذر بما وراءه. تحتم على عبيد ان يستعين ببندقية. دفع اطلاقة من خزانها الى بيت النار، وصوبها ناحيته، متعمدا تخويفه دون قتله. ازت الرصاصة فوق رأس الفلاح.. فهجم كالثور المستثار، وكأن صوت الرصاصة كلمة عار جارحة، وسط الديوان، لا مناص من الرد عليها ارتعب عبيد من هجوم الفلاح الخاطف. قدر ان بينه وبين الموت الذي يكمن في لسان المسحاه، بضعة اشبار ويضع ثوان، فدفع الى بيت النار اطلاقة اخرى. دوت المرة دون ان تنز رصاصتها

صرخ الفلاح بصوت مرعب، سمعته القرية. واستقرت مسحاته بين

قدمي عبيد، بعد ان جرحت ساقه اليمنى. ركض اهل القرية.. وتحلق الخضارة حول ابنهم القتيل.. فيما شغل سعدون بن مهلهل بتضميد جراح عبيد.. واطلق فالح لفرسه العنان، بأمر والده، ليبلغ الشرطة بالحادث.. وصلت سيارة الشرطة قبل الظهر.. قام المفوض بمعاينة مكان الحادث.. اجرى تحقيقا سريعا.. بعد خلوة قصيرة مع سعدون، ثم وضعت جثة القتيل فوق السيارة وأجلس القاتل، الجريح، بداخلها. تشبثت أم القتيل بالسيارة، دون وعي، فنهزها المفوض بخشونة:

- شكوا كلبتوا الدنيا؟ قحط موت! عبد المحسن السعدون ريس وزاره انتحر من كيفه البارحه!!

* * *

عرف الخضارة ان جرح عبيد بسيط، وانه البادئ بالعدوان، فبعثوا من ينذر سعدونا في مضيغه: انهم يعتبرون الحادث على جانب كبير من الاهمية.. وسوف يرحلون الى حيث تقيم عشيرتهم، ومن هناك يثأرون. ويحسنون الاختيار.

استبد الخوف بسعدون من اشارتهم الى (حسن الاختيار). فأستدعى حسين وخلف لمشاورتهم في الامر. استقر الرأي، بعد المداولة، على ارسال السيد محمد ابو شراره الى عم القتيل ليأخذ (عطوه) لمدة شهر، يبحثون خلاله الامر..

رفض عم القتيل ان تكون (العطوه) شهرا، بل اقترحها اسبوعا ويعد يومين حضر رئيس عشيرة الخضاره ونزل ببيت عم القتيل.

كان سعدون ميالا لاجراء التسوية بأي ثمن، ولذلك تمسك رئيس عشيرة

الخضاره بمطلبه: ان تكون الدية امرأتين (فصل) واحدة لانهم جيران،
والثانية لان القاتل تعمد القتل في محل عمله.

اجتمع سعدون مع وجوه العشيرة.. تداولوا الامر.. رد على ملاحظات
القائلين بأن الخضارة هم في عداد الدرجة الثانية من العشائر، ولا يصح
تزويجهم من بناتنا:

- عمي خلصونا من هالسوالف الماچول ريعهن.. كل احنا اولاد حوا
وأدم..

فهمس خلف بأذن حسين:

- خايف الجبان.. خايف على روحه.. صاير خير.. كل احنا (اونادا)
حوا وأدم..

- لو يعرف الطلبة اتطبخ بروسنا وحدنا چاشاوخها وسوالها بنايج
وتخاريص! لكن هذا الحجي مال خايف، موش مال خير.

اخيرا فوضوا السيد ابو شرارة ان يتبنى فكرة اعطاء فصلية واحدة،
وهكذا كان. وشدت الراية على فصلية، وتليت الفاتحة بعد تسمية صالحة
بنت احميد ابو البينه -فصلية-.

زفت الى اخ القتل بعد ثلاثة اشهر، دون ضجة او اي مظهر من مظاهر
الفرح. وبلغ القرية نبأ الحكم على عبيد بأربعة عشر عاما مع الاشغال
الشاقة.

* * *

وافق الفلاحون، عن طيب خاطر، على اعطاء (كفة الكهوجيه)) من كل
بيدر لغافل -ابو عبيد -اشفاقا عليه بعد محنته بسجن ولده. وسكتوا

مخرجين، عندما طلب فالح بن سعدون ان تؤخذ من كل بيدر (كفة العلوية) للسيد محمد ابو شراره. فقد كره كل منهم ان يكون البادئ بالمعارضة، والمسبب لقطع رزق (ابن) رسول الله. وانكروا اعطاء (كفة الكتابية) لملا محسن قائلين فيما بينهم: انه يكتب حسابات الشيوخ وليس حسابات الفلاحين.. فلماذا ندفع اجره من لقمة عيشنا؟ لكن احدا منهم لم يجاهر برأيه، امام فالح بن سعدون، واكتفى بعضهم بالهمس:

- هاي يزارد الها ولد نشمي مثل ناصر بن حسين يوكف بوجه فالح ويبهذه... لكن مدري ليش ساجت.. لهسا ما حقا؟!

بوشر بقسمة الحاصل، واخذت الكتابية اسوة بأخواتها، وغدت تلك الرسوم أشبه بالقوانين النافذة، بعد يوم واحد من فرضها، ثم شملت الى جانب هورة البترا ديمة خلف وبقية الديمات.

* * *

يوم احست (صالحه) ان الجنين نبت في احشائها، راحت تفكر: اذا كان العرف يقضي بأن على (الفصلية) ان تنجب طفلا في بيت (المفصول) من ثم يحق لها الطلاق.. فما هو الطفل ينمو. ويتحرر عبيد من سجنه - بهذه الطريقة او تلك - يقولون ان موت الملك وميلاد طفل للملك مناسبتان (للمراحم).. فياربي وانا المظلومة.. ودعوة المظلوم مستجابة - كما يقول السيد الروزخون - اسالك بظلامتي ان تجعل مواليد الملوك مثل توالد الارانب وموتهم مثل موت الدجاج.. والا فليهرب.. اهرب يا من لا يستعصي عليك جدار ولا ترهب الموت.. غادر سجنك وتعال - لأغادر سجنك الكئيب.

كان زوجها صغير السن، نسبيا، هادئا لدرجة المسكنة.
حسبت هدوءه في الاشهر الاولى يعود الى حزنه على اخيه، لكن طبعه لم
يتبدل، ولم يزايله الهدوء مع زوال آثار الحزن. بدا لها وكأن معشره لا
بضايق. ولا تمضى وقتها رتيبا مملا الى جانبه.

* * *

تأهب الشيخ سعدون لزواج ولده. اخذ على نفسه ان يجعل من عرس
فالح مظاهرة ضخمة، لدرجة يقال معها: انه العرس الاول في كل شيء.
أوعز لشباب القرية بممارسة مظاهر الفرح قبل عشرة ايام من موعد
(الزفة) وقبل الموعد بثلاثة ايام احضرت جوقة الكاوليه. فاستاء الكهول
والشيوخ، وتهامسوا اسفين:

- يا حيف واللّه يا حيف.. كاوليات تركص بمضيف مهلهل!
وزفت هلاله بنت صلال بسيارة، رغم قصر المسافة بين القريتين، فكانت
سابقة لا مثيل لها في الريف كله. كانت حسنة بنت سعدون بين النساء
اللواتي يحطن المضيف لمشاهدة رقص الكاوليات. انفردت بصديقتها
صالحة بنت ابو البينه فتفجرت ينابيع العواطف بعد خمول... تحسرت
صالحة وقالت:

- انكتب علينا جواز الغصب.. مدري شنهو ذنبنا عد اللّه؟
- اسكتي! فكينا من سالفه اللّه -بعد عيني عينه -وين البطلي
يصاحبه! - مصاييب.. ما سدت على اهل البيت..
- طين خاوه المصاييب.. مرّت على كل راس.. حتى هاي..

كانت تشير بلفظ (هاي) الى عروس اخيها، التي شاع خبر عشقها

لشباب في قرية صلال، واستدركت حسنة متعجبة: ولكنها سرعان ما
انسلخت من حبها وكأنه (سلاّب حيّه) خلفته في قرية ابيها واقبلت على
العرس بروحها وجسدها، حتى لتبدو الفرحة في كل خيط من ثيابها! في
حين اجد نفسي أسيرة الحب الاول.. كل شيء يذكرني بناصر. وضمت
طفلها بحنان الى صدرها وحين لمحت (ناصر) ينهض وسط الديوان،
ليفسح المكان لقدام جديد. ارتجفت ثم احست بالوهن، فقالت لصديقتها:

- الزميني جبل ما اطيح، مدري اشبيّه غلبي چنه طير مذبوح..

كان غناء الكاولية شجيا مؤثرا، فتأججت كوامن الحب العارم، وبعثت
الرغبات عنيفة. فسألت نفسها: وبأي عذر سأطلب لقياك؟ قلت لصالحة
ذات يوم اريد مواجهته للتحلل من عهد الحب الذي ارتبطنا به. فما عذري
الآن؟ وكيف؟ واين؟ ومع ذلك فقد اصبحت هي الاخرى لاحول لها ولا قوة
بعد سجن عبيد.

ثم توجهت اليه بالعتاب: انتظرتك ولا زلت.. توقعتك في كل ليلة (تنسف
الكله) وتتمدد الى جانبي كما كنت قبلا. أتحسبه مخيفا.. يحول بينك وبين
الزيارة التي طال انتظاري لها؟ ام تراك سعدت بزواجك فنسيته؟
تناغم صوت الكاولية مع وتر الربابة -عبث الطفل بثديها -تذكرت يوم
جاءت الى اهلها لتضع مولودها البكر.. وتسألت امها بقلق:

- اخاف ناكص حسابه..

وراحت تعد على اصابعها مغممة:

-گولي.. وچن الله غسم بليلة الزفة.. ايه.. ربيع وجماد وجماد.. لكن..

وحين وضعتة سليما معافى كامل التكوين، اندهشت امها.. واعادت

حساب الأشهر على أصابعها ثم أعلنت:

- ناگص شهرين.. لكن عافيتج زينه وصار الولد تام..

استبدت بها العواطف، حين ارتفع صوت احدى الكاوليات ببیت مؤثر من
(شعر البنات) اعجب المغنية نفسها، كما يبدو، فرق له صوتها، والتمعت
بحته تثير الشجون اكثر مما تطرب:

ما ظل عدل بعضاي حي وارتجي اعليه

كل هذا ما خلّيت شامت يحس بيه

بكت حسنة بصوت مخنوق واجهشت صالحة بحرقة ثم جذبت صديقتها
لتنهضها وقالت:

- امشينا انشوف النا مچان ونبجي على كيفنا، حتى نستراح.

الفصل الثامن

وقف عبيد في المكان الذي سقط فيه القتيل وتسائل: كم تبيلت معالم الارض؟ واضحى الطريق محدودب الظهر كأنه شاخ بفعل السنين، من حمل التراب لتعليكتك يا ملعون؟ وقد امضيت السنين هناك أحمل التراب على ظهري لنبني سدا يحمي المدينة والزرع من الغرق. اليس هذا مضحكا -لو كان الضحك سهلا؟ وجاور نفسه بتهكم:

ياحامي الطرق والمدن من الغريق ما الذي دعاك للتسكع هنا وفي هذا المكان بالذات؟ ألا يكفي عذاب حفنة سنين؟ كفاني ايتهذا الذكريات -لا تطلّي، كفّي عن مطاردتي.. لقد دفعت الكفارة اضعافا مضاعفة. ادار ظهره للمكان وخطا على مهل، متحسسا اثار القيد على ساقيه: أما زالوا يدعوني المنتاز؟ عبيد المنتاز.. كان الضحك (بلاش) بلابوش دنيا يا خلف! تتأثّل في مشيته عند مشارف القرية، وطوقها بنظرة شاملة، وراح يتذكّر: لم تعد كما وصفها احميد ابو البيه -قطيع معزى يتقدمه خروف ابيض، انعكست الصورة وأضحت البيوت من الطين والقصب. مضيف الشيوخ وحده يفرض وجوده. ويشمخ القصر في مكان حوش الطين. من تلك الزاوية طالما لمحتها.. وترى اشارتي.. واتسلل الى (صيرة) اهلها. ترى اي المضختين هي الجديدة؟ ولكنهم شيدوا للاولى حجرة من الطابوق شأن الثانية. ولم تكن ثمة اشجار على الشاطئ. لابد انها غرست في وقت واحد مع حديقة القصر. لقد غرسوا وأكلوا الثمر.. ولم تنبت بذورك ايها القلب العقيم.. وفي اي جهة من القرية موقع بيتها؟ ما الذي ستقولينه لحظة تسمعين الخبر (عبيد طلع من السجن)؟ اتمنى لو اعرف مشاعرك يا صالحة. اما انت يا امي الحنون لو كنت على قيد الحياة لأمتلا الفضاء

بالهلاهل..

تحسس ساقيه ثانية، وواصل سيره الوئيد. انزل (الصرة) من على كتفه، وضعها في (كوسر) المضيف.. ثم دخل على استيحاء، وشيء من الخوف لم يعين مبعثه، جعله يتمنى خلو المضيف الا من ابية.

كانت مفاجأة للاب لم يتغلب عليها.. اغمي عليه لبعض الوقت. تنسم عبيد هواء القرية، وفغم انفه عبير القهوة.. ودخان الوجاق، يتميز برائحة كاد ان ينساها لم تعد آثار القيد تشغله لولا تحية قادم ونهوض وجلوس. ادار عينيه من وراء الدخان، فانكر كثيرا من الوجوه.. وحاوّر نفسه: من كانوا مردا نبتت شواربهم وطالت.. وابيض شعر الكثيرين ممن خلفتهم شبابا -المضيف وحده ما زال يحتفظ بسواد شعره.. ذلك لانه بلا قلب!!.. تلمس عقاله الضامر، الذي ينتسب الى مرحلة تجاوزها الناس وصاروا يلبسون (العگل) الغليظة، وقد لفت انتباهه رجل يتبخر في مشيته.. بدا وكأن العغال زائدا عن حاجته، ولولا مشيته الوئيدة لسقط العغال جانبا. فتسأل عبيد في سره: من هذا الذي يمشي وكأنه مدير السجن.. ويضع العغال جانبا مثل (سدارة) رئيس العرفاء؟ سرعان ما تذكره: انت فالح.. يا صديق الشباب..

هب الحاضرون وقوفا قبل أن تطأ قدماه عتبة باب المضيف. فأستقبله عبيد.. صافحه وطبع قبلة على خده (كان مكانها الصحيح ظاهر كفه - هكذا افهمه ابوه فيما بعد -) تفحص صديقه القديم: انهم يدعونه الشيخ - ويخاطبونه محفوظ.. لا بأس. لحظ امتلاء جسمه الى حد الترهل. وحيوية تعبر عن نفسها من خلال النظرات المتسلطة ونبرة الصوت والضحكة

المجللة.

هكذا؟ ولا حتى سؤال.. بل إنه اهمال متعمد..؟

نبيه ابوه ان يسارع لاستقبال الشيخ سعدون خارج المضيف. احس حرارة اللقاء.. قبله سعدون. وقال (هله بيك.. هله بيك..) فخطب فالحا في سره: كان ينبغي ان احس حرارة لقائك يا عديم الوفاء..

سأله الشيخ سعدون:

- اشلونك يا عبيد؟

- الله يحفظك (سيدي)

ضحك فالح بصلافة وعقب:

- هم زين ما كلت الله يحفظك عريفي!

برر الشيخ سعدون هفوة لسان عبيد، بتحكم العادة، نتيجة احتكاكه بإدارة السجن. خجل عبيد من سخرية فالح فعاتبه غاضبا في سره: تنصيد العبارات ضدي يا اعرف يا متغطرس اي علاقات مجنونة بين زوجتك وبين عشيقها ولن اتردد في المبيت معها على فراشك - لو اتاحت لي الفرصة.. كما بات ناصر مع شقيقتك (المحصنة).

كان يتوقع السؤال في اية لحظة، ومن اي كان، عن حياة السجن والسجناء، وبه شوق لاعلان خبر تنصيه مراقبا على (القاووش) منذ سنتين.. لكن الحاضرين لا يجروئن كما يبدو، فتسأل في سره: حتى الكلام وقف على سعدون وهذا الرقيق.. واحسب ان الضحك صار من المحرمات.. ألم يقولوا ذات يوم (الضحج زادننا)؟ فما هو زادنكم يا خلف بلابوش دنيا؟! اجال الشيخ سعدون بصره في الديوان، ثم سأل عن السيد محمد ابو

شرارة. فأجيب انه لم يأت بعد. امر عبيدا بالذهاب الى بيت السيد ليصحبه من هناك الى اهل القنيل، لغسل قلوبهم بالتحية، تأكيداً لنسيان الماضي. نهض عبيد ثم وقف حيث هو، كأنه ليس للمضيف بابا يخرج منه. بادره سعدون بالسؤال عن سبب تروده. فأعترف عبيد، خجلاً، بأنه قد لا يهتدي الى بيت السيد.. ضحك فالح مرة اخرى. وأشار سعدون بأصبعه الى صبي يجلس القرفصاء عند الباب، وامره بمرافقة عبيد.

سأله عبيد في الطريق:

- ابن من انتة؟

- ابن سلمان الحميد.

- شسمك؟

- داود

هم بسؤال عن عمته سالحة وبعد ان تفرس وجهه استدرك وقال لنفسه: لقد تجاوز عهد الطفولة والبراءة ويبدو شيطاننا اكثر منه انسانا ولم العجلة؟ بعد دقائق اصل بيتها ونظرة واحدة تفصح عن كل ما في الصدور.. كانت تقول اكثر من عبارة بنظرة واحدة.. وتعرف ما الذي اريده بطرفة عين. مشاكل العالم كلها لا يمكن ان تأتي على الحب الذي في قلبها -وبقية منه تكفيني.

قطعت الطريق فتاة ممتلئة تحمل جود ماء: لم ار الجود ولم ار لفة (الوزار) منذ دهر طويل (متونس بدنياك عونك يهلجود -شيلك على الورجين وحبك على انهود) ولها طريققتها الخاصة في لف الوزار.. ويا لروعة حركة ردن العبادة على وركها هل عبث الزمان بذلك القوام الرائع يا

صحابه السيد ابو شرارة الى بيت خضير، زوج صالحة، فلقى ترجيبا وديا وسمع كلمات دافئة: كل شيء قد طواه النسيان وان هي الا ساعة شيطانية.. ولا يشك احد الآن في ان الحادث ابن دقيقته غير مدبر.. ولم يكن ثمة سبق اصرار.. اعتبرني صديقك وقريبك وسندك في قادم الايام. ثم صوت على زوجته:

- صالحة. هذا ابن عمج عبيد. تعاى سلمي عليه.

كانت ترتعش كالمقرورة، منزوية في ركن البيت، تحتضن طفلها، مثل دجاجة تجمع افراخها تحت جناحها لحظة يمرق جارح في الفضاء. تمنّت لو يكون ولدا الثالث لحظلتند في البيت فينضم الى اخويه. نهضت بأرتباك متعثرة. قصدت الربعة. وقفت عند الباب. تحاشت النظر اليه. حيث بصوت مهزوز، لم تتوضح نبراته..

غادر الربعة مفكرا: ما معنى حمل الرضيع على صدرها وتقتاد الثاني بيدها؟ اهو كلام ارادت قوله..؟ لم اتبين وجهها ولم اقرأ ما في عينيها ولكن صوتها..؟ هل ارادت القول انظر ولكل شيء نهاية؟

وقف على جرف الغراف. استعاد معاله القديمة: لقد كان يحصر القرية كالهلال.. ابتعد من هناك واقترب كثيرا من المضخة حتى اضطرهم لتكسية السد بالخطب. كانت بينه وبين المضخة مسافة.. لقد حفرنا المجرى بصعوبة يومذاك. لئن غير شط الغراف مجراه ابتعد من مكان واقترب من آخر فلم لا يتغير قلب صالحة؟ ويهملني فالح على نحو مقصود؟ لقد مر زمن طويل.. طويل جدا.. والزمن كفيل بتغيير كل الاشياء وحتى القلوب.. يالها من حكمة

رائعة كنت ترددها يا خلف -بلا بوش دنيا -لقد مر زمن طويل ومن حق
الغراف ومن حق صالحة وحتى فالح بن سعدون وكل الاشياء من حقها ان
تتغير.. ويتعين على هذا القلب ان يتغير.. ولا بد من التغيير كلية.

شارفت الشمس على المغيب، فوقف يتملاها! منذ متى لم ارها تنعكس
على صفحة الغراف؟ لم يكن يستهويني مثل هذا المنظر.. لقد تغيرت، انا
الآخر، دون علم مني!!

نزلت الشاطيء امرأة. مدت ساقها في الماء لتغسله.. لاح له الساق بضاً
يلمع تحت اشعة الشمس المحمرة. تطلب ريقه. وسأل نفسه: هل فات
الاولان؟ الظفر بامرأة حقيقية في متناول اليد التي تحمل من المال ما يغري
اهلها او في الاقل من يملك عنفوان الشباب.. وانا خالي الوفاض من
كليهما

قتل شاربه، دونما اعتزاز به، ثم اشعل سيكارة، وشيع المرأة التي غسلت
ساقها بنظرة شرهة. وعاد يرقب قرص الشمس الذي اتسعت دائرته، وبدأ
يلامس الموج.. ثم تأرجح قرص الشمس مع حركة موج الغراف. واخذ
بالغوص رويدا رويدا

تعين عليه ان يعود الى مضيف الشيوخ: فحاور نفسه: اما وقد هجر
والدي بيته.. واتخذ المضيف مسكنا فبالتبعية سيكون المضيف مسكني
ياله من (قاووش) كبير؟ ذلك امر لا محيد عنه. ما دمت فارغ الجيب.
فرغيف الخبز سيف ان لم تكن قبضته بين اصابعك فشفرته مسلطة على
عنقك. واذا ما بقي حالي هكذا..

فمعنى تحرري من السجن مجرد الخروج الى ساحة سجن اكبر..

ومثلما حال السجن بيني وبين صالحة من قبل سيحول بيني وبينها. هذا الجدار السميك من الاطفال الذين تدرعت بهم وهي تلقي تحيتها متوثبة. ولم ار ابتسامة فالح كما لم ار ابتسامة المدير طيلة سنوات سجنني، يتحتم عليّ -ان احفر بئرا بأبرة. ابدأ من الصفر. والا فمن قاووش الى قاووش اكبر. ومثلما ضحكت وتزلفت (السرهنك) واصبحت مراقبا سوف اتزلف من هو اهم عليّ ان احتمل فالحا واحمله على مودتي. واحسب ان اليدين خلقتا لتتحركا فأما على زناد البندقية وأما للطبقة على الاكتاف، ولقد جربت الاولى وتجرت مرارتها بما فيه الكفاية.. وعليّ ان اجرب الثانية فربما تذوقت حلاوتها!

* * *

بعد خلو المضيف من سمار الليل الصق غافل فراشه بفراش ولده، وتمددا يتهامسان.. تذكر عبيد ردهة السجن وازدحامها بالسجناء وقال لنفسه: ولاول مرة بعد عمر طويل تحتل هذا القاووش الكبير بمفردك. كاد ان يضحك: لو كان في ينبوع الضحك قطرة يا عبيد. طرح اسئلة على ابيه، كيفما اتفق، شرع الاب يجيب بأسهاب، يستطرد فيبلغ احداثا لا علاقة لها بالسؤال.. واحيانا ينسى السؤال.. ويكرر روايات سبق لعبيد ان سمعها في المواجهات الشهرية: وأما حمزة الخلف فقد تزوج شقيقة خضير زوج صالحة (لو حدثتني عن صالحة دون سواها) ورزق ناصر بن حسين بطفلين قبل ان يرحل الى مدينة الكوت اثر شجار عنيف بينه وبين فالح بن سعدون حول قسمة الحاصل.. ومع انه تجاسر كثيرا على ابن سعدون، لكن الفلاحين يتذكرونه بأحترام.. ويكنون له الود.. وكان لا بد من رحيله..

لقد عوضه الله عن (الفلاحة) بأحسن منها فهو الآن يعمل في سدة الكوت ويكسب اجرا جيدا وألت ثروة احميد ابو البينه بعد موته الى ولده صالح ويبدو اكثر بخلا من المرحوم وقد تضاعفت اغنامه (تحدث عن صالح وانعطف بالحديث الى صالحة.. اليس بمقدورك ان تخفف عني هذا الحزن الثقيل) وعلى ذكر الغنم إشترت هلاله بنت صلال زوجة فالح

(اعرفها جيدا) حدثني عنها عشيقها في غابر الزمان.. وقد اخذت على نفسي عهدا بمضاجعتها على فراش الشيخ فالح حتى لو بقى من عمري يوم واحد.. لأتلم غطرسه.. واجزيه عن عدم وفائه..) مائة رأس غنم في العام الماضي واودعتها مع غنم صالح ابو البينه (هكذا تلعب بي مثل (الهولة) بين صالحة التي احبها وهلاله التي اشتتها..) وعلى ذكر هلاله تقول عنها ام فالح: لو كان بمستطاعها بيع (طابوك) القصر لفعلت. ان لها يدا طويلة وأساليب شيطانية -نعوذ بالله- للاستحواذ على المال. وان لها سلطانا على زوجها، هو بلا شك نتيجة عمل سحري محكم (انها بشارة خير.. فأذا كان مسلكها يعتمد السحر والشياطين ولها يد طويلة وما الى ذلك من النعوت فسوف احقق امنيتي عما قريب.)

أما زوجها فقد اصبح هو الشيخ الحقيقي يتصرف بالمقاطعة كيفما شاء. حتى شل يد سعدون عن العمل.. تصور انه يجلب الكاوليات الى القصر ويبقى حتى مطلع الشمس ويتظاهر الشيخ سعدون بجهله لما يحدث (وهذا يعني انه مشغول عنها وسوف تكون مهمتي اسهل) وانا على ثقة بأنه عليم بشرب فالح للعرق. واما حسنة بنت الشيخ فقد انجبت ولدا وثلاث بنات من ابن صلال وتشكو امها من سوء علاقتها بزوجها (اعرف

الاسباب.. واقطع ان الولد والبنات هم اولاد ناصر وليس اولاد شعيبث وانا على استعداد للرهان بأن ناصرا يتسلل اليها كل ليلة حتى وهو في الكوت.. ان له قلب اسد وخفة ثعلب) واما ابن سعدون الآخر فهو الآن يقيم في المدينة عند الحاج محمد شريك الشيوخ بالمضخة الجديدة.. ويقال ان فيصلا.. سينهي الدراسة الثانوية عما قريب وبعدها يدرس في مدرسة يتخرج منها (قيمقام) او على الاقل (متصرف).

* * *

استيقظ غافل مبكرا صلى ركعتي الصبح على عجل. نهض عبيد من فراشه توجه نحو مشرق الشمس. تمطى مرارا كان مزاجه صافيا. مد بصره الى كل الاتجاهات. استشعر فرحة، وقال لنفسه: ولا جدار يحجب الرؤيا هذا وحده يكفي سببا للاستبشار بالحياة الجديدة. اصغى لصياح الديكة. ونهيق الحمير وخوار البقر. وكان يستزيد مستمتعا تركز انتباهه حول صوت المضختين.. استطاب تناغم صوتيهما ونشوز واحدة عن الاخرى من آن لآخر. ثم انصرف الى صوت الهاون وقد بدأ ابوه يوقع لحنًا، كان لا يحسنه الا سعدون نفسه. وتزايد اللفظ في القرية وانعقدت سحابة من دخان التناوير فوق الاكواخ. فضاور نفسه: وهي واحدة من بين الخبازات ما اعذب خفق الاكف وهي ترقق العجين. آخ يا صمون السجن الاسود.. اقبح ما في السجن صمونه الاسود.. كل شيء في السجن رديء -ياالقبح التعداد الصباحي..

لقد كنا ثلثمائة سجين نصطف كالغنم وكنتم ثلاثة لم تتراجعوا عن قراركم بعدم الحضور مع (المصطر) لله دركم. انتم الرجال الشجعان اما

نحن فقد كنا نتحرك كالغنم يسوقنا رئيس العرفاء بعصاه.. ليتني اعرف من اين تستمدون شجاعتكم وليس بينكم قاتل او سارق.. مجرد افندية.. اصواتكم مثل اجسامكم رقيقة ناعمة.. ولم اكلف نفسي مهمة التدقيق في اقوالكم عن مساواة الناس.. تناهت اليه دعوات الفلاحين الصباحية: (اليوم يومك يا علي.. اصبحنا واصبح الملك لله..) فأقتحم ذهنه خاطر طائش.. وردد الدعاء في سره: (اصبحنا واصبح الملك لبيت مهلهل) استعاذ بالله من الشيطان الذي أوحى له بهذه العبارة الصبيانية.. تذكر استغاثة ابيه في الليل من كثرة العمل الذي ينتظره في الصباح حين اعلمه:

- باچر تجي هجنه..

- مكصدك لجنه؟

- يمكن.

- شتسوي؟

- ايگول الشيخ اتخرط الكاع.

- اتسوي الها خرايط؟

- يمكن.

اخذ على نفسه مهمة كنس المضيف.. فيما انصرف الاب لجلب الماء من الشط.. حمل صفيحتين تتدليان من طرف عمود، وكأئهما ميزان. وعاد العجوز ينوء تحت ثقلهما، وقد ابتل ثوبه تماما اشفق عبيد على ابيه، فتناول الصفيحتين وافرغهما بالكوز الكبير.

هرول غافل بعد ذلك الى حوش الشيوخ ونقل السجاد لفرش المضيف على نحو غير اعتيادي:

- ابني.. ابني.. سؤه افراش حكومه.. ابني اريدك تبيض وجهي.

تمنى لو يصاحب ابيه الى الحوش لنقل السجاد، او يقوم بالمهمة لوحده
عله يلمح زوجة فالح بن سعدون. وسرعان ما عدل عن رأيه مؤملا سنوح
الفرصة في مناسبة اخرى.

* * *

اعجب فالح بن سعدون بخفة عبيد ومهارته، وهو يوزع كؤوس (الشربت)
واللبن واقداح الشاي على رئيس لجنة التسوية واعضاءها، ثم القهوة فيما
بعد. وتجلت براعته في صف مواعين المرق والخلوى وتوزيع صحون اللحم
في الاماكن المناسبة على المائدة.

اقترح رئيس لجنة تسوية حقوق الاراضي، بعد الغداء مباشرة، ان يقوم
بجولة استطلاعية للتحقق من معالم المقاطعة على الطبيعة. فبادر فالح بن
سعدون يرد اقتراح الرئيس: اذا اتعبت نفسك في العمل هذا اليوم فمن
يسهر مع (بتّه)؟ وذكر الاسم همسا مع ابتسامة مقصودة. فكان لاسمها
فعل المخدر بالنسبة للرئيس الذي عرف بولعه الشديد بالكاويات.

تصنع الشيخ سعدون حراجة الموقف، لان الحديث يدور حول الكاولية
وهو الوقور المتدين، واغتنمها فرصة سانحة للانصراف، فأطلق ضحكة
باهتة وقال للرئيس:

- بيگك أنه شايب.. تعفوني من كعدتكم. هذا خادمك فالح شاب مثلكم..
ايلوك الكم وتلوكون له.. أنه اروح للمضيف يم ربعي الفلاليح!

وعمل سعدون بهمة لا تدانيها همة الشباب: بعث من يحضر صلالا على
الفور. ورسولا آخر الى قرية (العلوه) ياتيه بخلف واولاد صكر. ثم انفرد

بغافل لبعض الوقت ولقنه عبارات يقولها غدا امام اللجنة. وفعل الشيء نفسه مع ولدي احميد ابو البينه.

* * *

كان خلف، على طول الدرب، يمازح اولاد صكر مرددا: (عزيمه يوجوي احسان.. عزيمه يوجوي احسان..؟) فيجيبه سويلم الصكر: (كلبي لا سبني جنبها جوي احسان!) وينصحه خلف بأن لا يتأثر بأراء حسين المتطرفه ضد بيت مهلهل.. يتشكك في كل فعل او قول يصدر عنهم.

* * *

رحب سعدون بمقدم خلف واولاد صكر وسارع يستفسر، بلهفة، عن صحة حسين ومزاجه. ففكر خلف على الفور: ابن مهلهل ذهب تيزاب لن يصدأ ابدا ليس بمقدوره التخلص من مودتنا وعشرتنا الطويلة -انها (عشرة) العمر انها تعاوده كحنين المدخن الى التبغ بعد انقطاع طويل. وحين فرغ من لفيفة التبغ اخرج الزناد.. وسحب الفتيلة الى اعلى ثم نفخها قبل ان يقدح.. فضحك سعدون وقال:

- هاه.. جنّه صار ابو نفخه؟!

ومد يده الى جيبه، فأخرج قطعة معدنية مربعة الشكل، تلمع كالفضة المجلوة، واوماً لخلف بالاقتراب منه. ولما حاذاه خلف ضغط بأصبعه على الكتلة المعدنية المربعة فانبعجت من جانب وارتفع غطاء من اعلا وتصاعدت شعلة نار.. حدث ذلك مرة واحدة. دهش خلف، وظل يراقبها بفم نصف مفتوح. قال سعدون بلهجة انتصار:

- هذا الشغل. موش ازنادك ابو نفخه!

ثم ناوله الزناد، شارحا كيفية استعماله..

أوجس سويلم الصكر خيفة، وردد في سره: (يا يمّة..!)

لقد فعل مثل هذا يوم جننا نحتج على تعيين (شحنه) يراقب الديمات..
وخدع خلفا بزناد. ان اللعبة تتكرر (اللّه يستر من تاليها).

قدر سعدون ان تصرفه هذا بحاجة الى ما يبرره، ويبعد الشبهات عن
مقاصده فقال لخلف:

- يا سبحان اللّه.. كلما اشوف زناد جديد بديكان يوعد واحد -
اتذكرك. اول ما شفت هذا الزناد بالديكان تذكرتك واشتريته.. قلت هذا
بعده ما داير بولايتنا، يشتغل بالبانزيم وبالنقط.. لازم أخذه لخلف.. خلف
لازم دوم عنده زناد جديد.. محد شاييل مثله..

ضحك خلف ببراءة. سر لهذه الالتفاتة الكريمة. وحاور نفسه:

ان البرود الذي ينتاب علاقتنا هو من صنع حسين. ولكنه سرعان ما
يزول.. وان هو الا سحابة صيف. ولا يبقى الا الود القديم يفرض نفسه
ويطرد كل ما هو طارئ.

نهض سعدون اكراما لصلال.. فأستاء خلف لمقدمه وقال في سره: (لا
هلا ولا مرحبا هم حضرها الخبيث صلال؟!) وبعد خلوة قصيرة بين
سعدون وصلال رجع سعدون واتخذ مكانه جوار خلف.. ثم اومأ لاولاد
صكر فأنضموا اليهما وشرع سعدون يتحدث بصوت خفيض: لقد بذلنا
جهدا مضنيا للتفاهم مع رئيس لجنة التسوية.. ودفعنا له مقدما مبلغا
كبيرا من المال.. وندفع ضعف ذلك بعد اجراء التسوية.. والشئ الجوهرى
في هذه القضية، كون الاتفاق ينص على تقديم مبلغ معين من المال عن كل

قطعة ارض في المقاطعة.. بالنسبة لي ولصلال، وتجنبنا لدفع مبالغ طائلة (والتفت الى اولاد صكر) اريدكم ان تبرزوا وصولات الضرائب القديمة عن ديمتكم وتقررون امام اللجنة بأنكم دفعتم الضرائب نيابة عن صلال. وانها كانت ولا تزال جزءاً من ارضه.

والتفت الى خلف وقال بدالة ظاهرة:

- وانت انتكول جنت ادفغ الضريبة بدال سعدون بن مهلهل.

ثم بدل نبرة صوته وهو يوضح: وان هي الا اجراءات شكلية، لا تمس حقوقكم الاساسية بشيء...

فوجئوا بالطلب غير المتوقع، وعلى الرغم من مقدمة سعدون لحديثه فقد استبدت الشكوك بأولاد صكر ولكنهم انتظروا كلمه خلف فأذا هو يعترض على مسألة تبديل اسم الديمة الذي اراده سعدون، ان يكون اسمها (هورة السرابه) بدلا من ديمة خلف. وليس له اعتراض على الاقرار بكونه يدفع الضريبة نيابة عن بيت مهلهل.

ضحك سعدون وقال:

- يا خويه غايل اللجنة جاعده ويانا بالبيوت وتمنعنا من كولتن (ديمة خلف)؟ هاي ترتيبات حكومه.. اتروح وي لجنتها نغلة والديهم.. احنا كلمن على وضعه... تشبث اولاد صكر بأعتراض معقول لا يكشف صراحة عن مجاباتهم لسعدون، وهو انهم على استعداد للاقرار بان الديمة كانت جزءاً من ارض بيت مهلهل اسوة بأقرار خلف. ولكنهم يرفضون القول انها جزء من ارض صلال. فتساءل سعدون بنبرة حادة:

- تظنون بي غير ظن؟ غايل اطي گاع اخوتي للغريب؟ لكن هاي شغله

حكوميه بيها سر.. ما اكر احقيه هسا..

فبادر خلف يؤيد قول سعدون:

- ابن مهلهل لو يعرف بيها مذرة ما ايسويها.. ابدًا ما يطّي كاع اخوته للغريب.. الله وكبر. هيج توصل الامور؟!
- وحين عادوا الى قريتهم راح خلف يردد ضاحكا:
- لا هي عزيمه ولا هي چوي حصان..!

* * *

- نهض غافل قبل مواعده، ليهي قهوة الصباح في المضيف، ويذهب الى حيث امره الشيخ.. صاح ثانية ليوقط ولده:
- اكعد بويه، اكعد. ما ظل عدنا وكت.
- بويه دنيا فجر.. بعد وكت. هسه نمت.
- اكلك اكعد ما ظل وكت.
- بويه هذوله هسه ناموا.. جانوا سكارى ويركصون وي الكاويات الليل كله.. بعد ثلث ساعات.. اربعه ما يكعدون.
- انتة تعرف شي وأنا اعرف شي. ما دام الشيخ كال اغبشوا لازم نغبش.

فرك عبيد عينيه، وغالب نعاسا شديدا ثم نهض متعثر الخطى.. فعاجله ابوه بلهوجة:

- يا الله يا الله.. نترىك عند بيت خلف وننتذر الهجنه.
- تعين على عبيد ان يرجو والده التمهّل في مشيه. كان يجد صعوبة في اللحاق به. لم يتخلص كلية من آثار القيد على ساقيه. وفي رأسه وشوشة

من بقايا كؤوس احتساها خلصة ليلة البارحة، لجرد معرفة مذاق هذا الشراب الذي أسقط وقار رئيس اللجنة والشيخ وبقية الافندية وجعلهم يرقصون مع الكاولية على ذلك النحو المضحك. وفكر عبيد نادما: اوشكت على ارتكاب الحماقة بعد منتصف الليل. والآن ادركت ان للحماقات طريقا آخر غير فوهة البندقية. لقد نهرتني بعنف حين امسكتها بأشتهاء.. لو شربت مقدار ما شرب الافندية لاغتصبتها عنوة مددتها فوق صدر فالح بن سعدون. واكبر الحرائق من شرارة واحدة. ما احلاها وهي تهز الردفين. لن اعود ثانية الى مثل حماقة البارحة. احس التعب وهو يجاهد للحاق بوالده، فسأله مستغربا عن اسباب تعجله:

- يا بويه ما اتكلي ليش مستعجل؟ هذوله بعد ساعتين ما يگعدون من النوم.

- واللّه يا بويه أنه هم ما ادري ليش مستعجل.

ثم تحسس الوصلات في جيب الدشداشة، عند الورك، وتأوه قائلاً:

- اويلاه يعبيد بيني.. كون اكلهم هاي ادويمتي وذني وصولاتها.. وكون ايغيدونها بأسمي..

- چا ليش ما اتكلهم؟

- احوه! احوه!.. چا والشيخ شيگول؟!

- چا ليش تحجي.

- هيچ. خبرك تمنّي!

- انته وي الشيوخ ميت بيد امغسل!

- على ما عديت يا بني.. يو مثل ما ايگول مرحوم احميد:

حريم وتحت خيمتك يا كريم!

وعاود المشي بخطى سريعة. اجتهد عبيد ثانية للحاق به، فلم يقلح. قرر ان يعيق سبيله بأسئلة.. وقد عرف ميله الشديد للاجابات المسهبة. ابتداً بملا محسن، وقد رآه ليلة البارحة يتصرف بدالة كبيرة على الشيوخ، ويحظى بأحترام فالح بن سعدون وصلال على حد سواء. ورأى ولده ملا علي يغمز فالحا بعين واحدة، بلا كلفة، فيرد له الغمزة بمثلها. اجاب الاب بشهية متفتحة للكلام. اضحى ملا محسن مسؤول مالية الشيوخ.. ومركزه يزداد اهمية مع ازدياد مدخولاتهم. ويخيل الي ان نجم ملا علي يصعد مع صعود نجم فالح. وقد تزوج فتاة تمت بصلة قري (بعيدة) الى هلاله بنت صلال زوجة فالح وكانت تتردد الى حوش الشيوخ بكثرة لكنها امتنعت فيما بعد. وقد اشاع الناس، نعوذ بالله، ان زوجة فالح ضبظتها معه في وضع.. نعوذ بالله (هذا افضل ما في الحديث. ومن الخير ان تستمر فيه على النحو الذي يسهل مهماتي القادمة..). وبسبب من صلة القريبى - البعيدة - حيل بين الفضيحة وبين الانتشار. ولكن أهل القرية لكل واحد منهم زوجين من العيون والأذان ولهم انوف عجيبة تتشمم الفضائح حيثما وقعت - نعوذ بالله -

وبدا الاب ملماً بفضائح القرية واشاعاتها لم تغب عنه صغيرة ولا كبيرة. اوردها كمثال على تعقب الناس لآثار الفضائح وتصيدها وكان يرويها.. (والذنب على من غالها) وينفض زيق ثوبه بعد كل رواية.

واما بنت ملا محسن فقد تزوجها محمد البقال. واما السيد ابو شرارة فقد تحسنت احواله بفضل (كفة العلوية) التي تؤخذ من كل بيدر في

المقاطعة، ولكن يبدو لي وهو مجرد حدس، ان السيد حسن الكريلاني ابن المرحوم سيد علي الروزخون هو منافس خطير للسيد ابو شرارة حول كيلة العلويه. بعد ان توطدت علاقات عائلته مع عائلة الشيوخ خلال سفراتهم لزيارة العتبات المقدسة، وبفعل الهدايا السنوية التي يحسن اختيارها للشيوخ وللشيخيات (وماذا عن المفلس الذي لا يستطيع تقديم الهدايا للشيخيات؟) وقد لا تعلم ان ضيدان الحائك توفي منذ سنتين وصار ولده سائقاً لمضختي الشيوخ وتزوج بنت البقال..

تسأل عبيد عندما توسطاً هورة البترا:

- جنهم شايلىن من دارهم، اللي عرس بيها ناصر؟

- شيلهم الفيضان.. وحطوا بذيج الصفحة.. هسا صرنا انسميهم اهل العلوه..

- الاحسن انروح لبيت حسين.. هذا واجب.. شنگول؟

- لا لا لا كلشي ولا هاي. الشيخ وصاني. كال كلشي ولا تمرؤن على بيت حسين.

وتسأل عبيد: الا يثير وجودي في بيت خلف شجون زوجة حمزة وهي اخت القتيل؟ فرد الاب مهونا:

- اووه.. يا ابني بلت عظام الموتى وصارت تراب، وانزفت فصليه وترست البيت جهال.. يا ابني العدلين مشغولين عن الموتى بضيم المعاش.. ودولاب الدنيا ما امخلي الوادم تلتفت لا هيچ ولا هيچ.. دنيا.. مثما يگول خلف.. بلابوش دنيا!

استقبل عبيد بما يناسب طول الفراق -حتى حسين سعى بنفسه وجاء

لتحيتة.. وترك جودة شياؤه وجاء لهذا القصد -تفحص عبيد وجوه الحاضرين فقال لنفسه: ليس بينهم غريب ولكن ملامحهم تغيرت وغطى الشيب كل نبتة في وجهي حسين وخلف اما حمزة فهو الوحيد الذي يصح عليه القول، عصي على سلطان التغيير هكذا كما كان نحيفا معتدل القامة وشعر وجهه مثل زرع السبخ. اما ملا نعمة فقد كبر اكثر مما ينبغي في جسمه وفي عقله.. يتكلم مثل كهل عركته الحياة.. يسلسل الاسئلة وكأنه ذاك الحاكم الذي استجوبيني. ما هي حياة السجن؟ ما هي احساس السجن؟ ما الذي يتعلمه السجن من هذه التجربة المريرة..

واصغى الحاضرون بمن فيهم حسين لاسئلة ابنه الملا فكان عبيد يستعين، احيانا، بحركات يديه وتكوين جسمه: هكذا نجلس القرفصاء عند التعداد الصباحي.. ويخطر رئيس العرفاء.. يعد المسجونين كما يفعل راعي الغنم، مع فاروق واحد -والنفت ناحية جودة، وقدم ابتسامة لقوله: لكن عمي جودة يستمتع بعد شياؤه ويتألم لمرض احداهن، بينما السجن عندهم عديم الاهمية.. ليس اكثر من رقم.. ثم وصف عملية الجلد على المقرعة. فغالب الاب دمة اشفاق لمحها عبيد فاستدرك بوضوح: ولكنني لم اتعرض لعقوبة الجلد -والحمد لله -، بل اصبحت في السنتين الاخيرتين مراقبا لأكبر ردة في السجن.

وبالغ في وصف المشقة التي لاقاها السجناء خلال اقامة السد الترابي حول مدينة الكوت، لوقايتها من الغرق، والسد المقابل للمدينة. ثم تعمد استدرا العطف على السجناء بقوله:

- وبيناتهم ساده اولاد رسول الله.. واجاويد اولاد حمائل.. وكل واحد

منهم هزته ما يشيلها المطي تكرمون عن طارية!

توقف برهة ليجث عن ادوات تعبير لاتنم عن اعجاب او انكار لموقف
ثلاثة من السجناء اعلنوا العصيان على ادارة السجن وسيبوا المتاعب
للمدير ورفضوا حمل ذرة من تراب.. يزعمون انهم ليسوا سجناء...
تركزت اسئلة ملا نعمة حول هؤلاء الثلاثة..

ويجييه عبيد: ان تهمتهم غامضة.. يقول المدير ان ملتهم غريبة.. ويتساءل
ملا نعمة: بسبب من غرابة ملتهم يسجنون؟

ذلك شيء لا يصدق، فالغرباء هم المتسلطون على رقاب المواطنين. حرك
حسين مسبحته وانشد بيتا ناقصا، كي لا تفوت المناسبة:

الغريب امبريق بخير البلد

واحننا شربنا صار برنوطي!

بحث عبيد في زوايا ذاكرته، خلال فترة انشاد حسين، رفع كفه مباعدا
بين اصابعها ليوقف تساؤلات الملا وقال:

- تذكرت.. تذكرت.. يكول المدير هذوله على ملة (المسقوف) لم يكن تذكر
لفظ (المسقوف) الا بمثابة غموض جديد يضيفه على السجناء الثلاثة. ادرك
هذه الحقيقة بنفسه، قبل ان يستوضحوه، فأنبرى يكشف عن الجانب الذي
عرفه عنهم مباشرة، وقال بلهجة تهكمية:

- يريدونها سوا.. لا غني ولا فقير ولا فلاح ولا ملاج..!

تساءل الحاضرون بأنكار: ومن يعمل اذن؟ واجاب عبيد بنبرة من يقول
(وذنبهم على جنبهم): يريدون توزيع الاراضي على الفلاحين بالتساوي.
استوضح الملا: وكيف يتعاملون فيما بينهم.. وكيف يتصرفون ازاء

الأخرين؟ امسك عبيد ياقة سترته على نحو ما فعل أبوه، وهو يروي الفضائح، وقال:

- الشهادة لله، امأدين.. امكملين.. يفتهمون اهواي.. لوما هالسالفه الغريبه.

تسائل ملا نعمة: وهل فيما يدعون اليه منكرا...؟ اجاب عبيد، ولعله استظهر الاجابة من أحد، خلال احاديث دارت حول السجناء الثلاثة، داخل السجن: حين تعد الناس بأن السماء سوف تمطر ذهباً وفضة، فأنت لم تقل منكرا ولكن الناس يسخرون منك بلا شك. او لنقل اذا اعلن عشرة من فلاحي البترا عن عزمهم على سد نهر الغراف بمساحيهم، أيام فيضانه.. الا يصبحون موضع اتهام في قواهم العقلية؟ تعجل الملا في رده وقال:

- النبي بدا دعوته لوحده..

فضجت ربعة خلف بأصوات الحاضرين:

- استخفر الله.. استخفر الله.. هاي وين وذيچ وين؟!

- أفا عليك هذا انتة التفتهم.. تحجي هاي؟!

تراجع الملا على الفور وحاول توضيح فكرته: قصدت ان الدعوات تبدأها قلة من الناس. وما اردت المقارنة ابدا

خرج جودة عن صمته، لأول مرة، وقال:

- هذوله يحچون تسعه بالشهر! الله ما ساوا خلقه.. اصابعك كلهن

سوا؟!

وعقب حسين بغموض:

- ايه.. كل سدر وبیه علم. ويتعبك المايقتهم.

استجاب عبيد لسؤال الملا، فتحدث عن حياة السجناء الثلاثة اليومية:
يأكلون سوية.. وكل ادواتهم وطعامهم وحاجياتهم مشتركة.. يجمعون
الهدايا التي تصلهم في المواجهات الشهرية، بما فيها الملابس، وليس لاحد
منهم ان يقول (هذا حلالي وذاك حلالك..) توقف خلف عن لف سكارته.
اشرق وجهه بأبتسامة، ثم غمز اخاه بعين واحدة وقال:

- هاي بيها سبع احظوظ. كون اتصير الحسبه خلط وش.. ومثلات أنا
وجودة نخلط كل موجوداتنا ونكرطهن سوا.. بلابوش دنيا!
ثم التفت ناحية غافل وقال:

- ومثلات ابوك يا عبيد يخلط موجوداته وي موجودات بيت مهلهل
ويكرطونهن سوا

دخل الربعة صبي يلهث وصرخ برعب.

- اجتنا خيل.. راجبتها افنديه. وشرطة.. ووادم!

نهض غافل على عجل، وقال بأرتباك:

- الهجنه.. اعويّة ابو غافل.. الهجنه الهجنه!

ضحك خلف وقال:

- حتى انتة عرفت الهجنه؟ بلابوش دنيا!

انتهى الجزء الاول من الرباعية
يليه الجزء الثاني
بلا بوش دنيا!

تنويه

سقط سهواً في ظهر غلاف رواية (الزناد) الفقرة التالية
خدمة للحركة الثقافية.
لذا اقتضى التنويه